



مُرْتَبَاتُ الْبُرْهَانِي

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الأول

دار الشروق

مريد البرغوثي
الأعمال الشعرية
المجلد الأول
دار الشروق

الأعمال الشعرية

المجلد الأول

مريد البرغوثي

تصميم الغلاف: وليد طاهر

طبعة دار الشروق الأولى ٢٠١٣

تصنيف الكتاب: شعر

٨ شارع سيبويه المصري

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩

www.shorouk.com

رقم الإيداع ١٩٦٨٠/٢٠١٢

ISBN 978-977-09-3182-0

كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ
مِنَ الْعَيْشِ، أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
(أَبُو تَمَّامٍ)

منتصف الليل

بيروت ٢٠٠٥

منتصف الليل

هذا ما تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَهُ:
أَنْ تُلقِيَ بِهَا فِي السَّلَّةِ.

* * *

الرِّزْنَامَةُ* كلِّها،
بِشُّهُورِهَا الْاِثْنَى عَشَرَ،
تَرْمِي مُضَارِعَهَا فِي الْمَاضِي
كَأَنَّهَا «حَقًّا» غَابَتْ
مَعَ آخِرِ أَجْرَاسِهَا:
مَبَاهِجُهَا... لَكَ أَنْتِ،
وَأَوْجَاعُهَا... إِلَى النَّسِيَانِ.

* * *

لَكَئِكَ، كُلَّ لَيْلَةٍ،
مِنذُ اللَّيْلَةِ،
سَتَسْمَعُ أَصْوَاتًا فِي الْعَتَمَةِ،
خَشْخَشَةَ أَوْرَاقٍ تَعْبُرُ النَّافِذَةَ:
أَيَّازُ / آذَانُ / أَبُ / شَيَاطِ
حُزْبِرَانُ / كَانُونُ الثَّانِي /
أَيْلُولُ / تَشْرِينُ / نَيْسَانُ /
وَقَعَ خُطِيَّ تُرِيدُهَا
وَحُطِيَّ لَا تُرِيدُهَا،
هَدِيلَ مَسْرَاتِ
وَهَمَّهَمَةَ كَوَارِثِ.

* * *

هَا هُوَ الْمَوْتُ،
مُرْتَدِيًا قَلَائِدَ مِنْ أَقْفَالِ،
تَصَحِّبُهُ سَلُوقِيَّاتُهُ الْمُدْرَبِيَّةُ،
يُحِيطُ خَصْرَهُ بِجِزَامِ أَبْدِي
يَدِسُ فِيهِ الْعَنَاوِينُ /
لَمَلَمَكَ مَعَ مَلَابِسِهِ الْغَامِقَةِ
وَمَنَادِيلِهِ وَأَمْشَاطِهِ
وَفُرْشَاةِ أَسْنَانِهِ الضَّخْمَةِ /
وَسَدِّكَ فِي حَقِيبَتِهِ الْأَبْنُوسِ
وَسَافِرِ بِكَ
إِلَى حَيْثُ يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمُ /
لِتَكْتَشِفَ، بَعْدَ انْقِطَاعِ الْمَطَرِ

أنه نَسِيكَ في اللحظةِ الأخيرة،
ودون أدنى إحساسٍ بالمسؤولية،
تَرَكَكَ لهذه الحياة
وأنَّ الذي مات
أناسٌ غَيْرُكَ،
ذَهَبُوا لأسبابٍ غامِضَةٍ
كغُموضِ مَنابعِ الرِّياحِ،
أو ذَهَبُوا
مَلْفوفينَ بِرِيايَةٍ نامَ فيها الرِّيفُ.

* * *

ودون أن تَسْتَدْعِي مَلامِحَها
ها هي تُعاوِذُكَ
بَهَجَتِكَ الباذخة، بَهَجَتِكَ المُعْتَقَةِ
التي، بِنَمَهَلٍ ومَكْرٍ،
حَبَّاتُ مَفاتِنِها لأجلك أنتِ،
كانَّها صاعِقَةٌ تَحْمَرَّتْ
سَبْعَ سَنواتٍ في الأعالِي
ثم ضَرَبَتْكَ بِقُوَّةٍ
ضَرَبَتْكَ بالطولِ وبالعرضِ
وبالوَرَبِ،
وخطَفَتْ صَوْلجانَكَ
وقد تَجَنَّبَتْها كَثِيرًا، دون جَدوى،
لأنك، في الأَصْلِ،
(ولولا مِنَّةٌ وَجَعٌ تُلْحُ على رُجاكِ
كشحاذي إشارة المُرورِ)
أنتِ ... حُفَّتْ ... لِلْبَهْجَةِ.

* * *

المُجتمِعون في المُنتدى،
المأخوذون بِمَلامِحِكَ الحاسِمة،
وصوتِكَ الصَّخريِّ
لا يُدركون أنَّ حَديقَةَ يَنبُضُ فيها الرِّذاذُ
كفيلةٌ بِقَتْلِكَ
طِفْلٌ غَرِيبٌ يَضْحَكُ لَكَ في القِطارِ
يُسَمِّرُكَ شجاعًا وجبانًا في قَلْعَةِ جَسَدِكَ
وراغِبًا في الرِّقْصِ،
كالمشلولِ
تَمْتَنُ لِلنَّسْمَةِ في القَيْظِ

كَأَنهَا فَوْرُكَ بِالْيَانَصِيبِ
يُحْجَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّ الْجَمِيلَ لِلنَّبِيدِ،
(لَمْ يَسْأَلْ أَحَدٌ سِوَاكَ:
مَاذَا يَأْخُذُ النَّبِيدُ مِنَّا
لِقَاءَ هَذِهِ النَّشْوَةِ؟)
حَنَائِكَ يَبْدَأُ مِنْ خُطَاكَ،
مِنْ حِذَائِكَ الْمَلْهُوفِ
الضَّحِكَةُ تَبْدَأُ مِنْ عَيْنَيْكَ
الْعُضْبَةُ تَبْدَأُ مِنْ
رَعْبَتِكَ الْأَصْلِيَّةِ فِي الْعُفْرَانِ
تَقُولُ لِقَسْوَتِكَ:

قَفِي فِي آخِرِ الصَّفِّ
قَفِي فِي آخِرِ الصَّفِّ تَمَامًا
وَاسْتَأْذِنِي فِي الدُّخُولِ
اسْتَأْذِنِي سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الدُّخُولِ
لَأَتَّقُ لَكَ الصَّمْتُ وَالصَّخَبُ
لَأَتَّقُ لَكَ الرِّسُوخُ،
وَلَأَتَّقُ لَكَ التَّحْلِيْقَ بَيْنَ نَوْرَسَيْنِ
كَأَنَّكَ جِسْرٌ
بَيْنَ ضِيقِي الْحُزْنِ وَالْمَسْرَةِ
لَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أَحْمَالِكَ
وَلَوْلَا مِنْهُ وَجَعٌ تُلْحُ عَلَيْكَ
أَنْتِ ... حُلِفَتْ ... لِلْبَهْجَةِ.

* * *

فِي أَوْجِ ذَلِكَ
هَا هُوَ ذَيْلُ تَوْبِهَا الْأَسْوَدُ
يَكَادُ يَمَسُّ وَجْهَكَ النَّائِمُ:
جِدَادُ أَمِّكَ الطَّوِيلُ،
صَامِتًا، مُسْتَوْجِسًا،
يُدْرَعُ مَمَرَّاتِ الْبَيْتِ.

* * *

عَبْرَ النَّافِذَةِ
تِلَالٌ مِنْ زَيْتُونٍ فَقَدَ اطْمِنَانَهُ الْعَتِيقُ
قَدَسَهَا مِنْ رَدَدُوا الْابْتِهَالَاتِ ذَاتَهَا
عَبْرَ الْقُرُونِ،
وَمَنْ أزالُوا الْغُبَارَ
عَنِ الرَّقَائِمِ وَاللَّقَى

وَجُلُودِ المَاعِزِ ،
تِلَالٌ مِنْ كَوَاكِبِ وَأَكْبَاشِ ،
مِنْ صُلْبَانِ وَقِيَامَاتِ ،
وَأَمْوَاجِ نَسِيْتٍ مِنْ أَيْنِ أَتَتْهَا
أَمْوَاجُ سَكَّانِيهَا ،
تِلَالٌ مَرَّتْ عَلَيْهَا المَمَالِكُ
كَمَا يَمُرُّ المَشْطُ فِي شَعْرِ أَجْعَدٍ ،
لَمْ يُنْفِقْ حِمَايَتَهَا تَاجُ
أَوْ تَمِيمَةَ ،
وَلَمْ يُنْفِقْ حِمَايَتَهَا نُورُ
أَوْ ظَلَامِ .

* * *

عَبْرَ النَافِذَةِ / فِي الأَعَالِي ،
مَعْدِنُ هَادِرٍ ،
مُطْمَئِنُّ الجَنَاحِينَ ،
دَقِيقُ التَّصْوِيبِ ،
يَحُومُ بَاحِثًا عَنِ فِكْرَتِهِ القَادِمَةِ ،
(أَهِيَ سَيِّدَةُ الحِدَادِ الطَّوِيلِ؟)
يَبْحَثُ عَنْهَا
تَحْتَ القَبَابِ المَهْدَدَةِ /
يَبْحَثُ عَنْهَا
قُرْبَ جِدَارِ النُّومِ ،
حَيْثُ صُورَةُ الغَائِبِ
تُؤَيِّدُ ، بِالأَبْيَضِ وَالأَسْوَدِ ،
ابْتِسَامَتَهُ الأَخِيرَةَ
يَبْحَثُ عَنْهَا
بَيْنَ المَلَاءَاتِ البَيْضَاءِ
عَلَى جِبَالِ العَسِيلِ /
يَبْحَثُ عَنْهَا فِي الشَّارِعِ
ذِي الرُّضُوضِ الَّتِي لَمْ تَبْتَرِدْ بَعْدُ /
يُرِيدُ دَمَهَا الآنَ ،
وَعَدًا ، وَعَدًا ، وَعَدًا

* * *

تِلَالٌ مُتَشَابِهَةٌ كَالقَوَافِي ،
تَحْمِيهَا بَدَلًا مِنْ أَنْ تَحْمِيكَ
يَأْتِيكَ مِنْ سَفُوحِهَا المَهْدَدَةِ
نَشِيدٌ مُحِبِّيهَا :

أولهم،
مُنْسِيٌّ فِي كُتُبِ الْأَقْدَمِينَ
وَأَخْرُهُمْ،
تَقِفُ الْآنَ صَامِتًا
أَمَامَ جَفْنَيْهِ الْمُسْدَلَيْنِ:

* * *

لماذا كلما شاهدتُ قَتِيلًا مُسَجِّي
ظَنَنْتُهُ شَخْصًا يُفَكِّرُ؟
ها أنتِ مَقْتُولٌ عَلَى الْأَرْضِ
وَالْأَرْضُ بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ
قَلْبُكَ مُتَوَقِّفٌ تَمَامًا
وَالْتُّرَابُ حَوْلَكَ يَنْبِضُ
دَوْرَتُكَ الدَّمَوِيَّةُ
تُكْمِلُ شُعْلَهَا خَارِجَ جِسْمِكَ
كُنْتُمَا اثْنَيْنِ: أَنْتِ وَمَطَالِبُكَ،
حَرَجْتُمَا مَعًا، قَاتَلْتُمَا مَعًا...
وَأَنْتِ/ وَحَدِّكَ/ مِتَّ

* * *

قَمَرٌ عَجُوزٌ
عُمُرُهُ تَسَعُ سَاعَاتُ
لَا يَذْهَبُ إِلَى أَفْوَلِهِ
دُونَ أَنْ يَتْرَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ
عَزَاءَاتٍ مُدْهِشَةً:
فِي عَصْرِ مِنَ الْفِخَاخِ،
مَا تَزَالُ الْعَصَافِيرُ تَلْقُطُ رِزْقَهَا
وَتَمَلَأُ الْفَضَاءَ
فِي حَقْلِ الْأَلْغَامِ
الْمُنْسِيِّ مِنْذِ الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ،
(وَالْغُرُوبِ الدَائِخِ بِالْحُمَى
يَنْدَسُ، مَرْتَحِفًا، فِي فِرَاشِ الْأَفُقِ)
مَا يَزَالُ الرَّيْفِيُّ
يَعُودُ سَالِمًا إِلَى الْبَيْتِ
بَسِغَةِ مَحْرَاثِهِ،
وَشَبَقِ فَحْدَيْهِ،
بَيْنَمَا الطَّرِيقُ الَّتِي يَسْلُكُهَا
تُفَكِّرُ فِي الْإِنْفِجَارِ
فِي الْجَسَدِ الْمُعْطَلِ

ما تَزَالُ عَضَلَةَ الْخَيْالِ
تَتْرُكُ كِدَمَاتٍ لَا تُدَاوِي
فِي قَلْبِكَ مَن تَشَاءُ
فِي قَصْرِ الطَّاعَةِ،
ما تَزَالُ هُنَاكَ غُرْفَةً مُغْلَقَةً،
يُنْظَفُ فِيهَا أَحَدُهُمْ
أَسْلِحَةَ الْعِصْيَانِ
يَطْمَئِنُّ الْغَالِبُونَ إِلَى أَنَّهُمْ أَحْمَدُونَ
لَكِنَّكَ، بَعْدَ كُلِّ جَوْلَةٍ،
عِنْدَمَا تُرْسِلُكَ الْخَسَارَاتُ
إِلَى بَرِّيَّةٍ سَرِيرِكُ،
تَنَامُ،
كَمَا تَنَامُ الشَّرَارَةُ فِي حَجْرِ الصَّوَّانِ

* * *

ها أنتِ تضحكُ كما ضحكْتَ أَوَّلَ مَرَّةٍ
(قَبْلَ سُكُوتِ الْأَجْرَاسِ،
وَذَبُولِ التَّرَاتِيلِ)
مِن رَقِصَاتِ الظَّفَرِ،
وَأَنْخَابِ التَّهَانِي،
عِنْدَمَا انْتَصَرَتِ الْإِمْبِرَاطُورِيَّةُ
عَلَى سَائِقِ الْبِغَالِ
الْمُسَلَّحِ بَعكَازٍ مِنَ الْبَلُوطِ
ها أنتِ تَضْحَكُ
عِنْدَمَا أَفْصَحَ الْعَصْرُ
عَنْ تَعْدِيلَاتٍ مُدْهِشَةٍ فِي شَرَفِهِ
حَيْثُ السَّيْفُ فِي يَدٍ وَاحِدٍ فَقَطْ
مِنَ الْمُتَبَارِزِينَ

* * *

لِلجِسْمِ رَقِصَتُهُ، وَلَوْ بَيْنَ الْجِبَالِ
لِلرُّوحِ شَهْوَتُهَا، وَلَوْ فَوْقَ الصَّلِيبِ
الْحَرْبِ تُوَعِّلُ فِي فُكَاهَتِهَا
إِذَا قَصَفُوا الْفَرَّاشَةَ بِالْقَذِيفَةِ
ثُمَّ تَمَعِنُ فِي التَّوَعُّلِ فِي فُكَاهَتِهَا
إِذَا مَا لَاحَظُوا أَنَّ الْفَرَّاشَةَ لَمْ تَمُتْ
وَعَدَّتْ، بِكَامِلِ ضَعْفِهَا، أَحْلَى
وَأَعْلَى مِنَ يَقِينِ الْعَسْكَرِيِّ
وَمِنَ غُلُومِ الْحَرْبِ

نِصْفُ النَّصْرِ أَنْ فَرَاشَةَ عَزْلَاءَ،
إِلَّا مِنْ جُمُوحِ جَنَاحِهَا وَجَمَالِهَا،
دَخَلْتُ مَعَ الْمَوْتِ الْمُؤَكَّدِ
فِي سِجَالِ
سْتَمُوتَ،
تَعْرِفُ أَنَّهَا سْتَمُوتُ
مِنْ أَوْصَافِ قَاتِلِهَا،
وَمِنْ أَوْصَافِهَا،
لَكِنَّهَا
سَتُطَلُّ مِنْ شُبَاكِ يَأْسِ قَادِمِ
وَتَرَفُّ فِي عُرْفِ الْحَيَالِ:
لِلرَّوْحِ شَهْوَتِهَا،
وَلَوْ فَوْقَ الصَّلِيبِ
لِلجِسْمِ رَفْصَتُهُ،
وَلَوْ بَيْنَ الْجِبَالِ.

* * *

الليْلُ يَغْلِي، عَلَى مَهْلِهِ،
فِي الْعُرْفَةِ
وَالليْلُ يَهْدَأُ، عَلَى مَهْلِهِ،
فِي الْبَالِ...
سُكُونٌ...
سُكُونٌ غُمُوضِ،
سُكُونٌ اِحْتِمَالَاتِ،
سُكُونٌ يُشْبِهُ مُرُورَ الْعَيْنِ
عَلَى سُطُورِ رِسَالَةٍ مِنْ مَجْهُولٍ...
ثُمَّ،
خَشْخَشَةٌ عَلَى النَّافِذَةِ،
هَا هُمْ وَصَلُوا مَعًا:
شَبَّخُ الْمَلِكِ الْمَغْدُورِ
الَّذِي يَحْضُ الْأَمِيرَ الْوَسِيمِ
عَلَى اِكْتِشَافِ يَدَيْهِ
وَيَحْضُ عَيْنَيْهِ عَلَى الْاِتْتِبَاحِ
وَجَنُونَهُ عَلَى الرُّشْدِ
وَرُشْدَهُ عَلَى الْجُنُونِ،
وَجَنُونَهُ عَلَى الْاِتْتِقَامِ،
السَّاحِرَاتُ،
اللَّوَاتِي بُعِثْنَ مِنْ مَحَارِقِ الْعُصُورِ،

مُتَوَّجَاتٍ بِأَكَالِيلِ الْحَطَبِ
وَمَطْعُونَاتٍ بِالْمُقَدَّسِ،
الصَّعَالِيكُ الْمُقْتُولُونَ،
الَّذِينَ صَعَدُوا إِلَى رَوْعَةِ فِضَائِ كَاسِرٍ
هَازِنِينَ بِالْأَوْتَادِ
وَوَقَّعُوا مُعَاهِدَاتٍ أُنِيقَةً
مَعَ مَوْتِهِمُ الْوَسِيمِ
مُنْشَقِينَ عَلَى عَبَاءِ شَبُوحِهِمْ
وَلَمْ يَتْرَكُوا لِنِسَائِهِمْ
إِلَّا مَا تَذَكَّرُهُ الرُّوَاهُ الرُّحَلُ
مِنَ إِيقَاعَاتِ شَوْقِهِمْ إِلَى أَرْضِ
لَيْسَتْ كَالْأَرْضِ
وَتَوْقِهِمْ إِلَى سَمَاءِ
لَيْسَتْ مَنَسُوجَةً مِنَ الْوَبْرِ/
هَا هُمْ، وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ،
يَلْمَسُونَ كَتْفَكَ الْآنَ،
وَبِأَصْوَاتٍ تَنْوِّرُهَا اللَّهْفَةُ،
يُعَلِّقُونَ أَوْامِرَهُمْ عَلَى حَيْطَانِ لَيْلِكَ،
كَالْقَنَادِيلِ:

- أَيُّهَا الْمُفْرَدُ
أَيُّهَا الْمُتَوَارِي فِي صِفَاتِكَ
- كُنْ شَبِيرًا،
- مُزْعَجًا،
- عُدْوَانِيَّ الْحَوَاسِ،
كَمَا يَلِيقُ
- كُنْ مَآكِرًا،
- مُجَازِفًا،
- مَشْدُودَ السَّاقِينَ،
كَمَا يَنْبَغِي
- أَجِبْ نَفْسَكَ حَتَّى الْغُرُورِ
- لَا تُفَسِّرْ نَوَايَاكَ،
- أَوْ غَمُوضَ خُطَاكَ
- لَا تُفَسِّرْ رِضَاكَ
- سَتَحْتَاجُ إِلَى عُمَرَيْنِ كَامِلَيْنِ
كِي تُرَضِيَ عَابِسًا وَاحِدًا
- وَحِينَ تُتْلَمُ
خُذْ طَعْنَةَ اللَّوْمِ بِابْتِسَامَةٍ قَوِيَّةٍ

- ذَكَرَهُمْ بِمَا قَالَهُ الطاووس:
«أنا لا أنكر،
أنا لم أنكر، أيها السادة،
لكن، ماذا عن غرور الجرد»...
- كن موجودًا مُسْتَتِرًا،
ككهرباءٍ غَيْمَتَيْنِ،
- كن صلبًا، مُراوِعًا،
- شيطانِي الحيلة،
- لأتَّك، أيُّها النَّافِرُ الغريب
احترامًا لروحك،
لا بُدَّ أن تكذبَ على هذا العالم

* * *

أنتَ الذي وَلَدْتِكَ أُمُّكَ فِي مَنْزِلِ الشَّرْقِ
تُحِيطُ بِكَ الأشْعَارُ والشَّرَائِعُ،
سَتَظَلُّ تَرَى وَجُوهًا
حَفَرَتْهَا أَقْدَمُ الأَرَامِلِ
وشابَّتْ تَحْتَ نَظَرَاتِهَا لِحَى القُرُونِ/
تغادرُ ألوَاحها الطينِيَّةَ المصفوفةَ
في رُفوفِ بابلِ/
الخارجةَ من ذاكرةِ نَهْرَيْنِ
(لا تدوم زُرْقَتُهُما طويلاً)
ومن مَعابِدَ تَكَسَّرَتْ أَعْمِدَتُهَا كَالْقَصَبِ/
ووجوها مَذْهولةٌ مما يَحْدُثُ
تحت سَمَانِكُ/
وجوها تنظرُ إلى الأعلى
فلا ترى في غُيومِ زمانِكِ
إلا أنشوطاتِ
تُسْقِطُ الحَيَالَ عن سَرَجِهِ
أو مَحَاياتِ هائلةً
للِعَقْلِ

* * *

أنتَ الذي وَلَدْتِكَ أُمُّكَ فِي مَنْزِلِ الشَّرْقِ
تُحِيطُ بِكَ المُعْجَزَاتِ والسِّيَرِ
وسُفوحِ تَعْمُرُها النَّايَاتِ والنَّدَى
وريشُ الحُبَارَى،
وسماءُ تَبْرُقُ على نُحاسِها
شَهْوَةٌ الصَّفَرِ/
.

سَتَنْظِلُّ تَرَى عَلَى الرَّمْلِ
أَقْدَامَ الْأَنْبِيَاءِ الْخُفَاةِ
تُطَارِدُ شَيَاطِينَ الْمَجَازِ،
وَتَرَى شَيَاطِينَ زَمَانِكَ،
بِشَعْرِهِمِ الْمَصْبُوعِ،
وَأَحْذِيَّتِهِمِ الْإِيطَالِيَّةِ،
يَدْعُونَ النَّبُوَّةَ
فِي مَلَاعِبِ الْجَوْلِفِ،
وَالْأَقْرَاصِ الْمُدْمَجَةِ،
وَرُدَاهَاتِ الْبُنُوكِ
سَتَسْمَعُ وَعُودًا فُصِّلَتْ لَكِي تُهْمِلَهَا
كُتُوبِ الْعُرُوسِ فِي يَوْمِهِ التَّالِيِ
سَتَسْمَعُ تَصْرِيحَاتِ أَسْلَافِكَ الْغَابِرِينَ/
الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ مَحَتَ قُبُورَهُمْ
كُتُبَانُ الصَّحَارَى قَبْلَ قُرُونِ/
يَتَنَبَّأُونَ لَكَ بِأَحْوَالِ الْجَوِّ غَدًا
وَعَدًا وَعَدًا وَعَدًا
سَتَسْتَهِي الصَّمْتِ حِينَ تُؤْمَرُ بِالْكَلامِ
وَتَسْتَهِي الْكَلَامِ
حِينَ تُؤْمَرُ بِالصَّمْتِ
سَتَسْتَهِي كَسْرَ كُؤُوسِ كَثِيرَةٍ
بَدَلًا مِنْ مُمَالَةِ الْعَطَشِ،
وَلِأَنَّ الْعَالَمَ لَا تُعْجِبُهُ كُلُّ مَلَامِحِ سُكَّانِهِ
سَتُسَمِّي غُرْفَتَكَ الْعَالَمَ
لِكِنَّكَ لَنْ تُنْزِكَ وَشَأْنُكَ
وَلَنْ تَنْجُو إِلَّا بِالصُّدْفَةِ
سَتَلْمَسُ شَرًّا، كَأَنَّهُ مِنْ صَمْعٍ
وَخَيْرًا، كَأَنَّهُ مِنْ زُنْبُقٍ
وَدَائِمًا، دَائِمًا، سَيَنْصَحُونَكَ
أَنْ تَجْتَازَ الْهُوَّةَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ،
بِقَفَرَتَيْنِ
سَتَرَى الْقَوَافِلَ عَلَى «طَرِيقِ الْحَرِيرِ»
مُحَمَّلَةً بِالْكَأَكِي الْأَخْرَسِ، وَالْكَأَكِي الْحَيِّ
وَبخُودَاتٍ مَنْقُوبَةٍ،
وَخُودَاتٍ مَا زَالَتْ تَلْمَعُ.
سَتَرَى عَلَى تُخُومِ الْقُرَى
خَلِيفَةً تُقَرِّبُ مَا بَيْنَ حَاجِبَيْهَا

تعضُّ أسنانها،
تضرب بأذرعها الدائخة أمواج التاريخ
تبحث عن قشة يوم آخر،
فوق قشرة اليايسة.

* * *

أنت الذي ولدتك أمك في منزل الشرق
حيث فركت الشمس رُموش صبحها الأول
ورفع الخيال صخرته إلى أعلى الجبل
فتدحرجت كُنُباً وموسيقى
وأسئلةً تلقي بأجسادها، كالسواقي،
في غموض البحر،
أنت الذي ولدتك أمك في منزل الشرق
حيث ابتداء كل شيء
سترى انحناء الثياب المطرزة
على شواهد النهايات،
والذين تحبهم،
ستراهم متقابلين مع موتهم،
كتقابل الأزرار والعرى
على صدر القميص

* * *

ما الذي بوسعك أن تفعله؟
إجماعٌ تحاول أن تظلل خارجه
أغلياتٌ تظلل فيها قليلاً
بجيشٍ من جنود المجاز
تغالب عضلات العالم؟
ببلاغة الحرف
تردُّ على مرافعة الحديد؟
الدخان يُعلق المشهد
الأجساد تلوّنت بالأحمر الساخن
زجاج سيارة الإسعاف، تلتخ فجأة
صديقك لن يصل أبداً إلى أي مكان
الأهل البعيدون،
الذين لم يسمّوا بالخبر بعد،
لن يطمئنا
منذ هذه اللحظة، على الأغلب،
لن يطمئنا

* * *

ولا تُفارقك الصّورة:
ولّد وبنّت
غريبان عن لهجة السّوق،
هاربان من حفائر الأنساب،
ها هي الأجنحة
ها هو صحبُ انفلاتيهما
نحو الشّغف الأعلى
ها هو حيوان السّرور
ذو الهيئة البديعة
ها أنتما معاً، ذات صباح،
غزالٌ يرْكُضُ فوق ظلّه
يسألُ عُشبَ الحقلِ:
«هل أنا ثقيلٌ عليك يا عُشبَ الحقلِ؟»
وبين التّوجّسِ والطّمأنينة،
بين الحفّاءِ والظّهورِ،
يلمّعُ جيده مرّةً،
وينطفئُ مرّةً
كمِرّاةٍ على ظهر عتالٍ.
يراكمأ خالقُ الصّور
فيعجبه ما يرى
ولّد وبنّت،
كأنهما الدّويُّ كُلُّهُ،
والصّمّتُ كُلُّهُ،
ولّد وبنّت:
كأنّهما
زلزالٌ
في
مَنامٍ
تقولُ لها:
لنا طابّةٌ أخرى،
تُخصّنا وُحدنا
غيرَ طابّةِ الأرضِ.
تقولُ لنفسك:
طماعٌ من يطالبُ
بعزاءٍ أجملَ من هذا
وتُعني أغنيةً نفْسِكِ:
حبيبي سبّبي للذة أو سبّبي للموت

سَبَبِي لِخِيَالِي، وَلِخَوْفِ الْفَقْدِ.
سَبَبِي لِلْجُبْنِ، وَلِلْبَطْلِ الْكَامِنِ فِيَّ.
جِرَاةُ عَيْنَيْهِ جِرَاسَةٌ لَيْلٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حُرَّاسٍ...
(مَنْ يَمْدَحُ أَجْفَانًا ذَابِلَةً غَيْرَ السُّخْفَاءِ؟)

وحبيبي،
في كَفِّهِ خَشُونَةٌ مَنْ يَحْيَا لِئِرْتَبَ فَوْضَاهِ
وحبيبي ظَنِّي إِنْ شَاءَ، وَنَمُرْ إِنْ شَاءَ
يُغَاضِبُنِي، فَالَيْنُ لَهُ
وَأَغَاضِبُهُ، فَيُضَاجِكُنِي، وَأُضَاجِكُهُ
أَخُذْهُ مِنْ مَنَافِي إِلَى مَنَافِي
وَيَأْخُذْنِي مِنْ كَفِّي إِلَى كَفِّهِ
يقول: هُنَا دَارُكَ فَاسْكُنْ دَارَكَ
وَأَنْسَ الْأَخْبَارَ قَلِيلًا
سَأُؤَدِّبُكَ الْآنَ لِكِي تَنْصَاعَ
لَأَفْرَاحِ عَطَايَايَ وَعِطْرِي،
هَذَا صَدْرِي

لَا يَحْجُبُهُ عَنْكَ قَمِيصٌ أَوْ صَدٌّ
صَدْرِي خَوْفِي، سَيَخَافُ مَعَكَ
وَيَخَافُ عَلَيْكَ،

صَدْرِي اطْمَئِنَّا نَكَ
حِينَ تَعُودُ مِنَ الْأَسْفَارِ
وَتَسْتَرْجِعُهُ بِذَهْوِلِ الْمُقْطُومِ حَدِيثًا
وَأَنَا أَتَوَاطَأُ كِي أَرْضِيكَ، وَكِي أَرْضَى
هَذَا خَصْرِي

خَصْرِي يَسْتَقْبِلُ مُوسِيْقَاكَ
/نَعُومَتَهَا وَخُشُونَتَهَا/
فَتَمِيلُ بِهِ،

وَيَمِيلُ بِهَا
وَتَمِيلُ لَهُ،
فَيَمِيلُ لَهَا

هَذَا قَلْبِي
قَلْبِي الْوَاشِي بِالْمَخْفِيِّ مِنَ الْغَابَةِ
فِيهَا نَحْنُ،

وَفِيهَا عِطْرٌ لَا يَفْنَى
وَسَنَاجِبُ تَلْهُو
وَذِنَابٌ تَعْوِي قَمْرًا كِي تُسْقِطُهُ
مِنْ كَفِّ الْغَيْمِ؛

وَيَحْمِيهِ الْعَيْمُ فَلَا يَسْقُطُ

تسألني:

- من أين لجِسْمِ الْعَيْمِ بهذي القُوَّة؟

تسألني:

- هل لو سَقَطَ الْقَمَرُ الْمِسْكِينُ

سَتَنْهَشُهُ أَنْيَابُ الدِّئِبِ؟

ويعودُ بنا الْهَدْيَانُ مِنَ الضَّحِكَاتِ

إلى الأَرْضِ

* * *

الآن، في أرض لَيْسَتْ هي الأرض
أَتَذَكَّرُ - والمرءُ يَتَذَكَّرُ ما لَمْ يَنْسَهُ أَبَدًا -

أجراسًا بيضاء

مَمْسُوسَةً بِذَهَبِ الضُّحَى

أم أنها الزهورُ

في حديقة البرتقال والليمون

رَنْتٌ على آذَانِ أَغْصَانِهَا؟

تقول، ما الفرقُ

أنا سَمِعْتُ صَوْتًا يَلْمَعُ

جَذْبَنِي مِنْ قَمِيصِ «الأول الابتدائي»

ناداني وحدي إلى الحديقة الصغيرة

دَخَلْتُ مِنْ بَابِهَا لَاهِيًا

وفجأةً

دُخْتُ مِنْ رَائِحَةِ الزَّهْوَرِ

ولولا ذِرَاعُ جَدِّي

سَقَطْتُ فِي إِغْمَاءَةٍ مِنْ لَذَّةٍ وَمَوْتٍ.

(هناك دائمًا يدٌ لولا انتباهها نَمُوتُ)

- فَضَحْتَنَا أَبَقْتُلُكَ الْبَرْتَقَالُ يَا وَدُ؟

وقال لي / كأنه قال لي:

- ستعرفُ كيف تَعَشَّقُ امرأةً يا وَدُ

وستكتنبُ شِعْرًا كعبد الوهاب

- مَنْ هو عبد الوهاب يا جَدِّي؟

- هو مجنون القرية،

لم يَفْعَلْ إِلَّا الشِّعْرَ، ولم يَنْزُكْ إِلَّا الشِّعْرَ

وقال لي - كأنه قال لي:

- لن أَطَمِّنَنَّ عَلَيْكَ أَبَدًا

كانت الغيومُ دَرَجًا هابِطًا من مركز السماء

كان الترابُ من قهوةٍ وهالٍ.

كان المذيع الخشبي أحدث الاختراعات،
(يذيع ما لا نفهم)

فَرَكْتُ وَرَقَةَ الْبُرْتَقَالِ بَيْنَ كَفِّي
فَرَكْتُهَا لِأَشْمَمَهَا كَمَا نُصِخَتْ
وفي طريق يدي إلى أنفي
أَصْبَحْتُ لِأَجْنَأ، بِلَا وَطْنِ

* * *

الحياة مُخَبَّأَةٌ فِي مَكَانٍ مَا.
أَعْرِفُ

الحياة مُخَبَّأَةٌ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ.
أَعْرِفُ

لكن، هل أبحثُ عنها كالدَّيَّوسِ؟
كالزَّرِّ السَّاقِطِ مِنْ تَوْبِ؟

كخَاتِمِ فِي التَّرَابِ؟

هل أَسْتَأْنِفُ نومي سَاعَةً أُخْرَى،
لأَكْمِلَ رُؤْيَيْهَا فِي الحُلْمِ؟

هل أَلْجَأُ لِلْمَشْعُودِينَ

وضاربي المندل

شارحًا أوصافها،

لعل تَمِيمَةً مِنْ صُنْعِهِمْ

إِذَا عَلَّقْتُهَا فِي عُنُقِي،

تَرُدُّنِي إِلَيْهَا

أَوْ تَرُدُّهَا إِلَيَّ؟

هل أَعْلَقُ صُورَتَهَا

فِي مَخَافِرِ الشَّرْطَةِ

وعيادات الطوارئ،

وصفحات الحوادث؟

تحت إعلانٍ عاطفيّ:

«نحن سامحناكِ أيتها الحياة

لن نعاقبك على الهرب

الكل بانتظارك

عودي إلينا أيتها الحياة

* * *

أيها الراكضُ الأبدِيّ،

أيها الراكضُ نحوها،

ما أطولَ المَسَافَةَ

كلما اقتربتَ مِنْ خَطِّ النِّهَايَةِ

أَبْعَدُوهُ عَن دَمْعَةِ انْتِصَارِكَ
وغيَّرُوا مَكَانَهُ
كَأَنَّكَ خُلِقْتَ مِن تَعَبٍ،
كَأَنَّكَ خُلِقْتَ لِلتَّعَبِ،
مِن عَتَبَةِ الشَّمْسِ
حَتَّى شُرْفَةِ الْقَمَرِ
مُنْتَبِهَاً، بَعْدَ نَوْمِ الْجَمِيعِ،
كَأَنَّكَ تَخْشَى سُقُوطَ النُّجُومِ
إِن لَّمْ تَثْبُتْهَا بِدَاكِ الْمَسَامِيرِ
عَلَى سَقْفِ اللَّيْلِ
أَهْدَأُ قَلِيلًا
اسْتَرْحِ لَحْظَةً يَا صَدِيقِي
حَتَّى أَلْهَى الْمَلَاحِمِ
تَغَادِرَ مَعَابِدِهَا
الْمَسْكُونَةَ بِلَعْنَةِ الْعَرَّافِينَ
وَمَقَاتِلِ الْأَبْطَالِ،
وَتَذْهَبُ خِلْسَةً
لِلنُّهُوِ.
الرَّغْدُ يَعْْمَلُ فِي مَوَاسِمِهِ
ثُمَّ يَسْحَبُ شَرْشَفَهُ الْمُنْقَطَّ
وَيَنَامُ.
وَكَالرِّيْفِيَّاتِ
الْمُسْتَحْمَاتِ فِي رُعُونَةِ النَّبْعِ،
يُجَفِّفُ السَّيْلُ جِسْمَهُ بِمِنْشَقَةِ الصَّيْفِ،
يَسْتَلْقِي عَلَى مَلَاءَةِ الْحَصَى،
وَيَتَشَمَّسُ.
لِلْحَرَاثِ،
لِلنَّهْرِ،
لِلقَطَارِ
مَوْعِدٌ لِلوَصُولِ
وَاحْتِفَالٌ بِالسَّلَامَةِ.
جُنُودُ الْجِبْهَاتِ الْبَعِيدَةِ
الَّتِي تَعْلِي كَمِرْجَلِ مِنَ الدَّهْوَلِ
يَعُودُونَ إِلَى مَلْلِ الْحَبِّ الْمَنْزَلِيِّ،
بِالتَّنَاوُبِ
وَبِدُعَاءِ الْأَمَّهَاتِ.
تَعَبُ الشَّمْسِ يَرْتَاخُ سَكْرًا فِي الْعِنَبِ،

وَحُمْرَةً فِي الْكَرَزِ،
وَعَسَلًا فِي التَّيْنِ،
وَزَيْتًا فِي الْجِرَارِ.
الْحَرْبُ ذَاتُهَا
تَتَكَيُّ عَلَى عَكَازِهَا
وَتَتَمَشَّى قَلِيلًا
فِي مَمَرَاتِ السَّلَامِ.
الْمَجْزَرَةُ تَسْهَرُ لَيْلَكَ أَنْتَ
تَتَفَنَّنُ فِي إِتْقَانِ غِيَابِكَ،
ثُمَّ تَجْلِسُ عَلَى أُرِيكَةِ نَهَارِهَا
وَإِدْعَاءِ، مُسْتَرْخِيَةً،
وَبِحَنَانٍ أَصِيلٍ
تَدَاعِبُ كَلْبَهَا اللَّطِيفِ.

الغيوم
التي حَوَاقِهَا مِلَقَاتُ مَحْرُوقَةٍ
تَتَحَوَّلُ، إِذْ تُمَسِّدُهَا نَسْمَةُ النُّعَاسِ
إِلَى مَحَدَاتٍ مِنَ السَّاتِنِ
مُحَاطَةٍ بِثَرْتَرَةِ الدَّانْتِيلِ
وَأَهْوِ الْفَرَاشَاتِ:
أَمَا أَنْتَ

أَنْتَ يَا صَدِيقِي
فَلَوْ نُحِتَّ تِمْنَالًا مِنَ الْمَرْمَرِ
لَرَأَيْنَا عَلَى جَبِينِ تِمْنَالِكَ
حُبِّيَّاتِ الْعَرَقِ!

* * *

تَسْمَعُ نَشِيخَ أَعْضَائِكَ،
أَقْصِدُ نَشِيدَ رَوْحِكَ:
الْحَيَاةُ الْحَيَاةُ
وَلَوْ أَهْلَكْتَ بَعْلَةَ الْأَمَلِ تَحْتَ فَخْدَيْكَ
إِعْيَاءً، قَبْلَ الْوَصُولِ إِلَى أَسْوَارِهَا
الْحَيَاةُ الْحَيَاةُ
وَلَوْ عَلَى هَذِهِ الشَّاكِلَةِ،
كَمَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ،
[وَأَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى]

* * *

هُدُوءًا هُدُوءًا
يَا مَنْ تَتَلَعَّنُمُونَ حَوْلَهُ الْآنَ

كَجَوْقَةٍ نَسِيتَ دَوْرَهَا الْمَسْرَجِيَّ،
هو لا يريدُ مِنْكُمْ شَيْئًا
كُلُّ امْرئٍ نَدُّ لِمَوْتِهِ:
السَّرْوُ يَمُوتُ فِي صُعودِهِ إِلَى النجوم
الغَيْمَةُ تَمُوتُ مَطْرًا
الياسمين يموتُ عَطْرًا
والْفَشُّ لِلْحَوَافِرِ
اخْتَارَ وَاخْتَرْتُمْ.
ولن يقول ما تَسْتَهُونَ.
كَزَيْتُونَةٍ، (ربما بَكَتْ لو عَرَفَتْ)
تُضْرَبُ بِالْعَصِيَّ،
تُدَقُّ بِالْحَجَرِ،
تُحْشَرُ فِي الْفَقْفِ...
لِتَذْهَبَ الْأَرْغَفَةُ
وتملأ الجِرازُ
وتَفْرَدَ السَّجَادَ تحت خُطْوَةِ العروسِ/
سيفعل ما يُتَّقَنُهُ
سَيُثْمَرُ بِلا شَرْحِ،
كَزَيْتُونَةٍ، (ربما بَكَتْ لو عَرَفَتْ)
هُدُوءًا
هُدُوءًا أَيها المَجْتَمِعُونَ فِي الْمُنتَدَى
يا مَنْ فِي هذه اللَّحْظَةِ
تَقْرُدُونَ العِلْمَ على جِدْعِهِ المُسْجَى
وعَيْنِكُمْ على وَهْلَةِ العَنَانِمِ
لا تَطْلُبُوا مِنْهُ تَفْسِيرًا
(عليكُمْ أَنْ تَخَافُوا لو فَعَلْ)
موتَهُ أَعْجَزَهُ عن المَشْيِ
ولو استطاع
لنزل الآن عن الأكتاف
وسارَ إِلَى قَبْرِهِ على قَدَمَيْهِ
دونَ حاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ

* * *

العاصفةُ تَمُدُّ يَدَها المُهْدَبَةَ
تُدِيرُ مِقْبِضَ بابِ الكَوْنِ
تَدْخُلُ عَلَيَّ كغريبٍ مُتَرَدِّدٍ
ثم تَخْلَعُ أَقْبَعَتَها واحِدًا واحِدًا:
ترمي البَرْقَ فِي الغاباتِ

والعتمة في المشاعل
والياس في السفن
والشيطان في حوافر الخيل
والزرقة في سفاه الحودي
وترميني عارياً
في فاك الليلة
الريح
تكاد تخلع فرون الوعل
عضلات الموج
تكاد تزيح قوس اليابسة
البحر جياذ من الفوسفور
تضربها سباط لا ترى
فتعلك الرذاد
والآفاق
والنجوم
وتعلق بحوافرها الطائرة
رائحة الكبريت
لا مراكب في ضياقة البحر
الميناء قيشاني يتكسر
لا شيء يحمي الساحل من القشعريرة
ولا حتى فراء الزبد
كُرسيان... يفران أمام الريح،
يتراكضان على الرمل
كأنهما أعرجان في سباق
عتاة المرّوضين لن يُغلقوا فك هذه الليلة
ولن يُعيدوا الموج الفالت
إلى أفعال الحراس
ألود فوراً بتلك الدار، حيث القبة المسيطرة
والعقود الرحيمة
حيث الألفحة السميكة،
وصور الجدود (المأكلة الحواف)،
رغم صلابة شواربهم)
ثابتة على الجدران كأنها شيدت معها
وجددي، واهماً أن الدنيا بخير
يعبئ غليونته الريفى
لآخر مرة،
قبل وصول الخود

والجَرَافَاتُ
في أسنانِ الجَرَافَةِ
تَعْلُقُ عِبَاءَ جَدِّي.
تتراجِعُ الجَرَافَةُ أمتارًا/
تَقْدِفُ حُمُولَتَهَا مِنَ الْأَنْفَاضِ/
وتَعُودُ لَتَمَلَأَ مَلْعَقَتَهَا الهَائِلَةَ
بما لا يُشْبِعُهَا
عِشْرِينَ مَرَّةً،
تَرُوحُ الجَرَافَةُ وتَجِيءُ/
وعِبَاءَةُ جَدِّي عَالِقَةٌ بِهَا!
بعد انْحِسَارِ العُبارِ
عن البيتِ الذي كان هنا
مُحَدِّقًا في الفَراغِ «الجديد»
رَأَيْتُهُ مَرْتَدِيًا عِبَاءَتَهُ
رَأَيْتُهُ مَرْتَدِيًا نَفْسَ العِبَاءَةِ!
ليس مِثْلَهَا،
بل ذَاتَهَا
عَانَقَنِي وَظَلَّ صَامِتًا، مُحَدِّقًا،
كَأَنَّ نَظْرَتَهُ
تَأْمُرُ الْأَنْفَاضَ أَنْ تَعُودَ بَيْتًا عامرًا!
تُعِيدُ السْتائِرَ إِلَى زُجَاجِ الشَّبَابِيكِ/
وَجَدَّتِي إِلَى كُرْسِيِّهَا
وَأدُوِيَّتِهَا المُلَوَّنَةَ
تعيد المِلاءاتِ إِلَى الْأَسِيرَةِ/
والأضواءِ إِلَى السَّقُوفِ/
والصُّوَرِ إِلَى الجُدْرانِ/
كَأَنَّ نَظْرَتَهُ تُعِيدُ المَقَابِضَ إِلَى الأبوابِ
والشُّرُفَاتِ إِلَى النُجُومِ
كَأَنَّهَا تَحْمِلُنَا ثَانِيَةً لِنُكْمَلَ العِشاءَ/
كَأَنَّ الكَوْنَ لَمْ يَحْرُبْ!
كَأَنَّ للسَّمَاءِ عَيْنِينَ وَأذنين!
واصَلَ التَّحْدِيقَ فِي الفَراغِ
قلت:
ماذا سَنفَعُ بَعْدَ ذهابِ الجُنُودِ؟
ماذا سَيَفَعُ بَعْدَ ذهابِ الجُنُودِ؟
كان يُكْوَرُ كَفَّهُ بِبِطْءِ
يُعِيدُ عَزِيمَةَ المَلائِكِ إِلَى قَبْضَةِ يَدِهِ اليُمْنَى،

إنها يده ذاتها،
يده البرونزية الخشنة
يده التي روضت منحدر العليق
يده التي رتبت الرّي كالرياضيات
يده التي ترفع الفأس هيئاً،
خفيفاً، كالذُعاء
يده التي تفلق القرميّة بضربة واحدة
يده المفتوحة للصفح
يده المعلقة على قطع الحلوى للأحفاد،
يده المبتورة
منذ سنين

* * *

البشريّة تقدّمت أيها العجوز
عاد عصر المعجزات:
الآن صار ممكناً
محو كل البراهين
الآن صار ممكناً إثبات أن ما وقع
لم يقع
الآن صار ممكناً إثبات أن الموت
هواية القتلى
الآن صار ممكناً أن يبدأ المولود عمرة
من جهة الكهولة

* * *

كيف انتبهت؟ كيف انتبهت؟
زرّ وحيد لامع هناك
بعد أن أزيلت الأنقاض كلها/
المعدن/ الصراخ/ والأخشاب/
والملاءة التي نُقوشها بابونج
يكاد أن يفوح/
الجنث/ الأشواق/ دفتر الحساب/
رعشة الشهود/ نكهة البارود/
والعظام.../
جميعها اختفت، كأنها حقيقة مألوفة
زرّ وحيد ثابت
على بقية مطموسة من القماش
هل كان زرّ معطفه؟
أم كان زرّ ياقة مُحكّمة الإغلاق

في قَمِيصِ نَوْمِهَا؟
هل كان زائداً في دُرْجِهَا
مُهَيِّباً إِذَا أَتَى الْوَأْدُ
وقد أضاع زراً كُمِّهِ في تِينَةِ الْجِيرَانِ
مثلَ عَادَتِهِ؟

- تَمَنَّعَتْ لِلْيَلْتَنِينَ
قَبْلَ أَنْ تُفَكَّهُ لِلْهَفَةِ الْعَرِيْسِ؟
- بل كان في قَمِيصِهِ،
وتحتَهُ بِالضَّبْطِ طَلْقَةٌ قَدِيمَةٌ
كَادَتْ تُمَيِّتُهُ، وَعَاشَ؟
- بل كان في اللِحَافِ الْأَزْرَقِ الَّذِي
سَيَسْتُرُ التَّمَتُّعَ الْحَلَالَ بِالْعَرُوسِ،
- بل أَحْضَرَتْهُ الْجَارَةُ الْكَسُولُ
كِي تَقْطُبَهُ جَارَتُهَا،
- بل كان في قَمِيصِ هَارِبٍ مِنَ النَّيْرَانِ
جاء يَخْتَبِئُ
لِسَاعَتَيْنِ عِنْدَهُمْ،
وماتَ مع من مات...
في لحظةِ الرَّمَادِ تِلْكَ
وكلُّ شَيْءٍ صَامِتٌ
وَالشَّمْسُ تَسْحَبُ الرِّدَاءَ خَلْفَهَا
لكي تَنَامَ/
الرِّزُّ وَحْدَهُ مُجَسِّمٌ وَحَيٌّ،
بِصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ!
كَأَنَّهُ، إِذَا اكْتَرِثَتْ وَأَنْحَنَيْتِ كِي تَمْسَهُ
يَكَادُ أَنْ يَقْصَّ مَا حَدَثَ!

* * *

جَسَدِي يَبْحَثُ عَنِّي، وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْهُ
في عاصفةِ الْعَالَمِ،
هذا الْعَالَمِ
حيث يُصَابُ النَّخْلُ بِالصَّرْعِ
وتتكَسِرُ الْمَنَارَاتُ كَأَصَابِعِ الطَّبَاشِيرِ،
هذا الْعَالَمِ
حيث الْحَقِيقَةُ كَبْرِيْتُ مَبْلُولٌ!
هذا الْعَالَمِ
حيث الكائنُ الإسْفنجُ وحده
سَيَدُ الْمَشْهَدُ

لا تهمُّه نظافة ما يَغُبُّ
ولا من أين ينال ما ينال
راضٍ بدهون الموائد
وغبار الكراسي والأحذية!
نشيطٌ حيثما وضعتُ الأيدي،
وحين يُضغَطُ نظيفًا
يمتلئ بوزنٍ من هواءٍ.
يقول لك الصوت أو لا يقول:
«هذا ما يحدثُ عادةً،
بعضُ السفن تَعْرَقُ قبل الإبحار.
وبعض البداياتِ،
نهايةً»

* * *

لا بدُّ أن هناك طريقةً أخرى!
لا بدُّ أن هناك قبطانًا آخر!
لا بدُّ أن هناك شراعًا أكثر متانة!
لا بدُّ أن هناك سفنًا لا تَعْرَقُ مرّتين!
لا بدُّ أن يحيا المرءُ أولًا ويموت ثانيًا!
لا بدُّ أن تكون هناك امرأةٌ أعشفتُها،
أموتُ في سبيلها، دون أن يغارَ
الوطنُ

* * *

عزفُ حنونٍ،
حنانُهُ لا يُعزيبُك.
علّمتك الأيام:
في كل حربٍ طويلة
يجلس جنديٌّ بوجهٍ تائهٍ
وأنيابٍ عاديةٍ،
قُربَ خيمته
يحتضن هرمونيكًا لامعة الصّوتِ
صانها من الغبار والنزيف/
وكعصفورٍ طيّبٍ
لا علاقةً له بالصّراع
يغني لنفسه أغنية حبِّ
لا تكذب.
للحظة،
يُخجلُهُ رأي ضوء القمرِ:

ما جدوى هرمونيكاً في الجحيم؟
يدنو ظلُّ ثم ظلُّ،
الجنود، واحداً تلو الآخر
ينضمون إلى غنائيه،
العازف يأخذُ كتيبةً كاملةً
إلى شُرْفَةِ روميو/
ومن هناك،
بلا تفكير،
بلا تردُّد،
بلا رحمة،
بلا شك،
سَيَسْتَأْفُونَ القَتْلَ!

* * *

لماذا يكثرُ الرصاصُ
في الملايسِ المهلهلة؟
ها هي باليأسِ ذاتِهِ،
بالرجاءِ ذاتِهِ،
حياةٌ حافيةٌ
خَرَجَتْ تلوُمُ المَوْتِ!
حياةٌ حافيةٌ
خَرَجَتْ كاملةً
لِتَنْقُصَ عَدَا
وعَدَا، وعَدَا، وعَدَا!

* * *

هذا الفراغُ كُلُّهُ... لكُ
فيه يَرْقُصُ الكابوسُ رَقْصَةَ النَّقْرِ بالقَدَمَيْنِ،
منهُ يُطَلُّ عليكُ إنسانٌ يُشْبِهُكَ
ولا يُشْبِهُكَ،
لا يَضْحَكُ
لا يَبْكِي
لا يَشْكُو
لا يَتَعَذَّبُ
يَمُرُّ في فراغِك،
جَسَداً مالِكاً أمرَهُ، جَسَداً سَيِّداً
منحوتاً بالإزميلِ الأعلى.
في الهواءِ الخارجيِّ،
المُفْرِيءُ لا يَطْمِسُ حَرْفاً ممَّا يَتَلَوُ:

[إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]
أَسْمَعُكَ تَقُولُ لَهُ بِعَيْنَيْكَ،
بِعَيْنَيْكَ، لَا بِلِسَانِكَ:
أَنْتَ مَرْكَزُ الْكَوْنِ
هَلْ نَسِيتَ يَا ابْنَ آدَمَ؟
أَنْتَ مَرْكَزُ الْكَوْنِ!
ارْفَعِ مَوْخِرَتَكَ إِلَى الْأَعْلَى!
إِحْنِ رَأْسَكَ إِلَى الْأَسْفَلِ!
الآن تترتدي أهدت أزيائك: قنّاع الخيش،
قنّاع الخيش وحده
وحده لا شريك له
الكلب المدرب في هارفارد
ينهش الكون
«حيث الصقر لا يسمع صاحبه
والمركز ينفرد»
أطرافك؟
أذهب عميقاً في الحذر!
عينك؟
حاول أن تبني شكلاً للكلب، بالخيال
الآن لن ترى قدم الفيلسوف
التي تركل
الآن لن ترى الإبهام الذي ينتصب
أنت مركز الكون!
تذكر جاليليو جاليلي
ضغ على وجه الكرة الأرضية
كيس الخيش
ولا تعلن عن وجهك أبداً
لا تعلن عن وجهك
حتى بعد أن تسترد الهواء العظيم
أذهب مُقَنَّعاً بالخيش كما أنت الآن!
إلى وظيفتك
إلى المدرسة
إلى الفتاة
إلى السوق
إلى العرس
إلى حواجز «الويست بانك»
إلى أبي تمام:

«كَانَ بِهِ ضِعْفًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ
مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ!»
حولك يدور الصقر في أعاليه
وفيلسوف في الشمال
يمنحك المنزلة الأعلى:

ديزني لاند
نفتتح أحدث فروعها في زنزانتك!
كل الألعاب متاحة لك بالمجان!
كن هرمًا
كن قطة
كن سلماً
كن إناءً
كن هباءً
كن أنيقاً بربطة عنقٍ من سلاسلٍ لا تصدأ
وكن ما تشاء
أنت مركز الكون
تذكر أبا الطيب المتنبي
«أعيا زوالك عن محل نلته
لا تخرج الأعمار من هالاتها»
تذكر كيف يراق على جوانبك الدم الآن
أنت مركز الكون!
الليلة نبتل سويًا
الليلة،
بصمت،
أشاركك صلاتك.

* * *

وحدك الآن ولا وجه سواك
أنت من علقت نجمًا ضاحك الضوء هنا
ونجومًا عابسات
كجنود المحقر العالي هناك
أنت كأسى وانتشائي،
فلماذا تمنع الحمرة عن رحي
وسكري فيك، لا عنك، ومطلوبي رضاك!
أنت إن لم تستمع لي
أمحي في الأرض ظلي،
فلمن سوف أصلي،
ولمن يلجأ مثلي حين تُقصيني يدك؟

لم أعد أملك اسما،
كي أنادى أو أسمى
مُلِئْتُ كَأَسَى سَمَاءِ،
صِرْتُ فِي قَبْرِ رَسْمَا، وَتَعَوَّدْتُ الْهَلَاكَ
مَنْذُ عُمْرَيْنِ أَنَا وَالضَّجْرُ
عَبْنًا فِي قَبْرِنَا نَنْتَظِرُ
ثُمَّ لَا نَحْيَا وَلَا نَنْتَشِرُ
سَامِحَ الْمَوْتَى إِذَا مَا كَفَرُوا
أَوْ تَجَلَّ الْأَنْ عَدْلًا، لِئَرَاكَ!

* * *

الْمَرْءُ يُشْبِهُ مَنْ يُشَبِّعُهُ تَمَامًا
فُتَعَاتُ الرَّيْشِ
تَمْشِي فِي جِنَازَتِهَا رِيَاشُ
مِثْلَهَا جَدًّا
وَلَا يَبْكِي الْخُفَاءَ سِوَى الْخُفَاءِ
وَأَنْتَ تُشَبِّهُنَا،
وَفِي أَجْسَامِنَا جَوْعُ
لِغَيْرِ النَّصْرِ أَيْضًا
أَنْتَ تُشَبِّهُنَا رَغِيْفًا نَائِيًا عَنِ نَارِهِ.
لَمْ يُعْطِكَ الْإِغْرِيْقُ
أَلِهَةً تُخْصُكَ بِالرَّعَايَةِ
كَلِمَا أَنْسَتَ يَأْسًا كَامِلًا.
لَمْ يُعْطِكَ التَّارِيْحُ حَتَّى رَوْحِ أُحْذِيَةِ
لِهَذَا الْوَعْرِ
حَاوِلْ مَرَّةً أُخْرَى، اَنْتَظِرْ
حَتَّى تَرَى الْقَمِصَانَ أَنْظَفَ
أَوْ أَجَدَّ
وَرَيْثِمَا نَسْتَبْدِلُ الْأَزْيَاءَ بِالْأَسْمَالِ
وَالْخُبْزَ الطَّرِيَّ بِهَذِهِ الْكِسْرِ الَّتِي
سَتَنْشِخُ أَكْثَرَ كَلِمَا أُحْذَوِكَ مِنَّا
أَمْ تُرَاكَ فَقَدْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟
وَلَكِي تَدُقُّ عَلَى غُيُومِ الْحُلْمِ
سَارِيَةَ الْعَلْمِ؟
سِرْنَا وَرَاءَكَ،
كَانَ شَكْلُ الْعَيْمِ مِثْلَ ثِيَابِنَا
رُفَعًا بِهَا فَوْضَى،

بها جوعٌ إلى الألوان
تَحْمِلُنَا صنادِلُ في ثُلُوجِ الله
والسَهْرُ الفقيرُ سماؤنا
إغضب ولكن لا تمت!
فأمامنا شغلٌ كثيرٌ، لو عَلِمْتَ
أمامنا تنظيفُ جسمِ رصيفنا
وأمامنا ترتيبُ كلِّ رُفوفنا
وأمامنا تغييرُ شكلِ عريفنا
وأمامنا تعريفُ دُنياننا بنا
من بعد أن جارتِ على تعريفنا
يا أيها المغبرُّ أقدامًا وروحًا مثلنا
ما رَعِشَةُ الأملِ الذي كانت
يداكِ تَجْرُهُ

كالزُّورِقِ المدفون تحت الرمل
إن كنا سَنَسْتُنْذِرُكَ مِنْ مِينائنا
ويعزُّ أن نَسْتَرْجِعْكَ؟
ما نوبة الصَّحِيانِ
في أبراج هذا السور
إن لم نستطع أن
نَسْمَعَ الرأى المَعْطَى بالزهور
ونَسْمَعَكَ؟

يا أيها المنسيُّ في قاع الأسي
ما حَفَقَهُ العَلمُ الذي حَلَمْتَ يداكِ بِرُفْعِهِ
إن لم يَكُنْ في وَسْعِهِ أن يَرْفَعَكَ؟
نشفاق للموتى كما نشفاق للأحياء
يُكْذِبُ من يُكْذِبُ قَلْبَهُ:
لا شيءَ يَعدِلُ ساعةً أُخرى مَعَكَ!

* * *

يَوْمَكَ الجَدِيدُ لا يَطْلُبُ إِذْنَا مِنْكَ
لا يسألكِ إن كنتِ مستعدًّا لاستقباله!
اليومُ وقحٌ وأنايى.
اليومُ يُصِرُّ على القُدومِ كُلِّ يَوْمٍ!
تُحْسُ بِفَجْرِهِ يَصْعَدُ الدَّرَجَاتِ
قبل أن يَفْتَحَ عَلَيْكَ البَيْتَ،
تمامًا كما تُحْسُ بِهِمْ قادمينَ لا عنقالكِ
فَقُلْ أن يَكْسِرُوا البَابَ،
قبل أن تُفْرِكَ عَيْنَيْكَ،

قبل أن تُدعى إلى «فُجَانِ قَهْوَةٍ» هناك
بِصُحْبَةِ الضَّبْعِ
الضَّبْعِ ذِي السِّنِّ الذَّهَبِ
والماكياج الكثيف.
أما العصافير
ألا تعرف هذه المخلوقات
أنّ هذا الوقت ليس للغناء؟
ها هي تُعْنِي
كعادتها
تغمغم أحياناً لا تفهمها
أو ربما كانت تُرَدِّدُ الصَّدى:
لا شيء يَعدِلُ ساعةً أُخرى مَعَكَ!

* * *

يَنَنْقُلُ اليَوْمُ في دروب الخَلِيقَةِ،
يصنع به الناسُ ما يشاؤون
أو يَصْنَعُ بِهِمْ ما يَشَاءُ!
لكِنَّكَ/
بعد أن تَلَمَعَ مساماتُهُ عَرَقًا
ويُتَعَبُهُ ما يُتَعَبُهُ مِنْ أَهْلِهِ
وتصبح مَساماتُ عُرْوِهِ
قَشْرَةً برتقالٍ بِحَجْمِ الأُفُقِ/
تأخذه إلى فَرَاغِ غَرَفَتِكَ
تُحَاسِبُهُ وَيُحَاسِبُكَ
اليَوْمُ يشيبُ أَمَامَ عَيْنِكَ/
يكتهل على حَاقَةِ سَرِيرِكَ/
يدسُ جِسْمَهُ تحت غَطَائِكَ/
أنت مشغول به وهو مشغول عنك
أنت عَدَالَةٌ نَفْسِكَ، قاضيها وَجَلَّادُها!
وهو لا يُنْقِنُ الاكترات/
عندما تَسْتَبِقُظ
نَمُدُّ يَدَكَ فلا تَجِدُ اليَوْمَ بجوارِكَ!
بإمكانك فقط أن ترى «العَد»
هائِمًا في هَوَاءِ الكَوْنِ
كفيلسوفٍ فَقَدَ الذَّاكِرَةَ،
بينما الفجرُ المختال
يتقدم بفرح زائدٍ
لاستلامِ وَطِيفَتِهِ الجديدة

بين صَفَّينِ من السنونو.

* * *

عَمَّا قَلِيلِ
تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنْ عُرْفَةِ نَوْمِهَا
وَبِبَطْنِ مَلَكِي
تَفُكُّ الصِّمَامَ السَّمِيكَ
عَنْ حَوَاسِ الكَوْنِ:
تُفِيقُ البَرَاغِمَ مِنْ بَنَجِ الشِّتَاءِ
تَثْرَثِرُ،
سَكْرَى بِلَوْنِهَا النِّبِيذِيِّ
تَتَدَفَعُ الرُّهُورُ
الْمَنْقُوشَةَ عَلَى صَدْرِ قَمِيصِ الْبِنْتِ
قَلْبَهَا يَتَعَلَّمُ الرَّنِينَ
خَطَاهَا تَتَعَلَّمُ الْإِلْتِفَاتِ
وَمَخَدَّتُهَا تَشْتَاقُ لَشَعْرِهَا الْهَائِجِ
الْمَاعَزِ يَحْكُ الْجِدَارِ
الضُّوءُ يَحْكُ أَوْرَاقَ الحُورِ
إِذْ تَقْلُبُهَا الرِّيَّاحُ
الضُّوءُ يَحْكُ سَرِيرَ النِّحَاسِ
وَخَاصِرَةَ العُرُوسِ.
رُوحُ الكَوْنِ تَتَخَذُ لَهَا جَسَدًا
مِنْ الحَشَائِشِ وَالْمُرَّارِ وَالزُّيْزَانِ
مِنْ الهَدِيدِ وَالنَّدَى
وَمِنْ نَشَاطِ البَغْلِ،
مِنْ شَهْوَةِ الحِصَانِ
وَمِنْ تَوَلُّدِ القُرُودِ فِي أَقْفَاصِهَا
وَيَعْلُو الدَّبُورُ
فِي ضَلَالِ الجِهَاتِ
تُطَلُّ أُولَى وَرَيْقَاتِ البَازِلَاءِ
وَاللَّفْتِ، وَهَنْدَبَاءِ البَرَارِيِّ
يَقْفِزُ الحُبُّ الوَحْشِيُّ بَيْنَ وَاوَدٍ وَبِنْتِ
كَارْتِطَامٍ وَعُلَيْنِ فِي الرَّدَادِ،
يَلْعَبُ المُهُرُّ الأَحْمَرُ،
يُنْقَلِبُ عَلَى ظَهْرِهِ
يَحْكُ صَهْوَتَهُ بِالثَّرَابِ
يَرْفِسُ شَيَاطِينَ لَا يَرَاهَا سِوَاهِ
وَيَلْعَبُ!

ينطلق السَّيْلُ فِي مَجْرَاهِ
فِيُلْغِي الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَصَى
وَالْحَجَرِ الْكَرِيمِ

* * *

تَسْتَبْقِظُ أَوْجَاعَ الْعِظَامِ
تَأْخُذُ الْجَدَّةُ شَائِيهَا
إِلَى مُسْتَطِيلِ الشَّمْسِ
قُرْبَ الْعَتَبَةِ
تَتَمَلَّمُ الشَّرُورُ الصَّغِيرَةَ
وَيَمَارِسُ الْأَوْلَادُ مَكَائِدَهُمْ
ضِدَّ الْوَالِدِ الطَّيِّبِ
تَمَارِسُ زَهْرُورُ الْخَبَازِ فُجُورَهَا الْعَلَنِيَّ
فِي الشَّرُفَاتِ
تَتَلَفَّتِ الْحِرْبَاءُ الصَّغِيرَةُ بَعْنَقَهَا
كَعَارِضَةِ أَزْيَاءِ فُخُورِ
يَخْرُجُ النَّمْلُ مِنْ مَخَازِنِهِ الذَّكِيَّةِ
وَالْحَلْزُونَاتُ مِنْ قِلَاعِهَا الْبِيضَاءِ
الْمَقَاهِي تُخْرُجُ كِرَاسِيهَا
إِلَى الْأَرِصَفَةِ
أَرَا حَيْحُ الْأَوْلَادِ النَّائِمَةُ مِثْلَ حِصَانِ الْحَلُوى
تَرْفَعُ ضِحْكَاتِهِمْ إِلَى أْبَعَدِ نَافِذَةٍ مَفْتُوحَةٍ
يُفَكِّرُ الزَّوْجَانُ مُبَكَّرًا
فِي أَسْمَاءِ سَخِيْفَةٍ لِلْمَوْلُودِ
الْأَرْمَلَةُ الَّتِي صَبَّرَتْ صَبْرَ الرَّمَادِ
تَحْتِ زَعْفَرَانِ الْجَمْرِ
تَبْحَثُ، فَجَاءَهُ، عَنْ مِرَاتِهَا
وَتَحْتَارُ طَوِيلًا أَمَامَ خَزَانَتِهَا
أَمَّا أَنْتِ!
أَنْتِ بَرَسْغَكَ الْمَقَيِّدِ إِلَى رُسْغِ اللَّعْنَةِ
تَتَابِعُ، مُكْرَهًا، مَا يَفْعَلُهُ خَنْزِيرُ التَّارِيخِ
فِي مُتَحَفِ يَوْمِكَ
كَأَنَّ لَكَ شَمْسًا تَخْصُكَ دُونَ الْعَالَمِينَ
شَمْسًا لَنْ تُضِيئَكَ
إِلَّا إِذَا رَكَكْتَهَا بِقَدَمِكَ
إِلَّا إِذَا ضَرَبْتَهَا بِالسَّوْطِ!

* * *

تَأْخُذُ مِنْ مَوْقِدِكَ الْبَارِدِ إِصْبَعُ فَحْمٍ

وبيدٍ قويّة، تكتب على جدارك الأملس:
- لا بد أن يكون لي يومٌ
يُنَادِينِي بِاسْمِي!
- لا بُدُّ أن يكونَ لي وطنٌ
غَيْرَ هذه الصَّفحة!

* * *

ها أنت تراها كاملةً
(كأنها بعد غيابٍ
تقفز الآن من النافذة):
السيدة ذات الجسد البشوش
الهاربة من دورة الأفلاك
تُقرِّص،
فُرب مسنّدها العالي،
وكرسیها المُحمّل،
نُقشِر لك أكواز الصبار الذي
لا تُحبُّه هي، وتُحبُّه أنت،
تُفرك صِيحات الخزامى
على كتفيك،
تُكلّل شعرك بأوراق البركة،
ودعاء الورْد.
وأنت، مُلاعِبًا،
تضعُ قناع الشيطان
على وجهها مرّةً،
وعلى وجهك مرّةً،
لتضحكا معًا،
ببلاهة مقصودة،
تُضيئان وتنطفئان
ولا تنتبهان
إلى شفاة الملائكة حولكما
وهي تنفخ العنمة على الشمع المغروز
في كعكة الميلاد.

* * *

أتجول في أنحاء مؤعديك،
كأنني في نزهة
ما همّ أن تتأخري؟
ما همّ أن تستعجلي؟
المؤعد غزال في غابة

يبدو، وتُضمِرُهُ الظلال، فَيَحْتَجِبُ
الموعِدَ مُرْتاحٌ هنا، مثلي،
ومثلي،
يَتَدَبَّرُ أَمْرَ نَجَاتِهِ فِي غَابَةِ غَامِضَةٍ
بِلا عَرِينٍ يَلُودُ بِهِ
وبِلا زُنَيْرٍ يُهَابُ لَهُ
مَا هَمَّ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيَّ أَوْ أَنْ لَا تَأْتِيَ؟
تَأْتِينِي الْهَوَاجِسُ، أَنْكِرْهَا
أرْكُلُ قَلْقِي بِحِذَائِي، كَضْرَبَةِ الْجَزَاءِ،
أطرد الزنير من مسامعي
وأوصل ألعابي
أَتَجَوَّلُ مَبْتَهَجًا فِي أَنْحَاءِ مَوْعِدِكَ
بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْفِيءِ
أُنْصِتْ إِلَى الْجِهَاتِ
كَمَنْ يَتَرَقَّبُ فَتَحَ السِتَارَةِ
عَنِ الْمَشْهَدِ الْأَوَّلِ/
يَرْبِكُنِي الزُّنَيْرُ / يَرْبِكُنِي الصَّمْتُ /
هَذَا صَمْتُ لَا يَحْمِلُ بُشْرَى /
السِتَارَةُ تَبْدُو حَائِطًا مِنَ الْكِلْسِ /
وَحَدَهُ الزُّنَيْرُ يَقْتَرِبُ
فَأَكُ مَفْتُوخٌ عَلَى آخِرِهِ
يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَنِي الْآنَ
هَا هُوَ يَدْنُو أَكْثَرَ / أَكْثَرَ /
سَوْفَ يَلْمُسُنِي
إِنْ لَمْ تَظْهَرِي الْآنَ /
الآنَ تَمَامًا /
لِيَأْتِ مَوْعِدُكَ فِي مَوْعِدِهِ
تَعَالِي الْآنَ! الْآنَ تَمَامًا!
أَنْتِ... أَوْ الْمَوْتُ!

* * *

نُفْضِلُ أَنْ تَكُونَ رُومَانِسِيًّا كَشَاعِرٍ قَدِيمٍ؟
تَعَيَّرَ الزَّمَانُ أَثْنَاءَ نَوْمِكَ أَيُّهَا الْعَاشِقُ!
عَمَّا قَلِيلٍ،
قَمَرُ الْكَوْنِ يَدْخُلُ فِي بُرْجِ الْعَقْرَبِ
وَعَلَى مَخْدَتِكَ الْبَيْضَاءِ
بَيْنَ الْوَرْدَتَيْنِ الْمُطَرَّرَتَيْنِ
لَوْحَةٌ مُتَقَنَّةٌ لِكَابُوسٍ:

هو عَقْرَبٌ قُرْبَ الوَسَادَةِ
لا يُرَاوِعُ. لا يُفَسِّرُ.
وَأَثَقُ مِنْ نُبْلِ مَهْنَتِهِ
ويَجْهَلُ قَلْبِنَا، لَكِنْ يُلَاحِظُنَا
وَيُؤَدِّي رَأْيَهُ فِينَا
يُقَسِّمُنَا عَلَى ضَرْبَاتِهِ
وَيَصُوغُ تَوَازِيْعَ العَدَالَةِ بَيْنَنَا.
عِينَاهُ خَالِيَتَانِ مِنْ مَرَضِ البَصِيرَةِ،
حِينَ تَلْتَفِتَانِ
تَرْتَجِلَانِ نَظْرَتَهُ الرِّكِيكَةَ،
ثُمَّ تَرْتَجِلَانِ حَجْمَ خُلُودِنَا.
هو عَقْرَبٌ
آتٍ مِنَ الخَلَلِ السَّمَاوِيِّ المُحَيَّرِ؟
كَيْفَ نَعْرِفُ؟ - أَمْ تُرَى
هو خَوْذَةٌ تَسْعَى بِهَا العَازُهَا
لِتُقِيمَ مَمْلَكَةَ العَقَارِبِ
فِي قَمِيصِ حَيَاتِنَا؟
مُنْتَشِبٌ بِوَضُوحِ كُنْهَتِهِ
يَمَسُّ غَطَاءَ مَصْبَاحِ السَّرِيرِ
يَجْسُ تَكَتَكَةَ الثَّوَانِي
فِي سُكُوتِ مُنْبِهِ
كُنَّا ضَبَطْنَا عَقْرَبِيهِ
عَلَى تَمَامِ السَّابِغَةِ
وَيَمُرُّ فِي مُسْتَقْبَلِ اللِّدَاتِ، يَلْدَغُ
مَا نَوَيْنَا أَنْ نُحَقِّقَهُ
غَدًا، أَوْ بَعْدَ شَهْرٍ، أَوْ سَنَةٍ،
وَسَيَلْدَغُ النَّعْمَاتِ
وَهِيَ تَلْمِزُ العَنَمَاتِ للرَّاعِي
وَيُسْقِطُ نَائِيَهُ العَرْقَانَ عَنِ شَفْتَيْهِ
يَلْدَغُ مَا عَلَى ظَهْرِ الفُكَاهَةِ
مِنْ نُدُوبٍ لَا تَرَاهَا العَيْنُ،
يَلْدَغُ
مَا عَلَى شَفَةِ المُرَاهِقِ مِنْ دُهُولِ
القُنْلَةِ الأُولَى،
وَيَلْدَغُ تَنْبِيَةَ الكَمِّ الَّذِي
أُنْحَسَرَ اللَّحَافُ، الآنَ، عَنْهُ
وَبُقْعَةً مِنْ شَمْسِنَا

أُنْحَدَرْتُ مِنَ الشَّبَاكِ
وَأُنْكَسَرْتُ
عَلَى حَرْفِ السَّرِيرِ
وَقِطَّةِ النَّعَسِ
الَّتِي اسْتَرْخَتْ عَلَيَّ إِذَا رَشَرْنَا
وَيَلْهَتْ فِي انْتِظَارِ جَمِيعِ مَنْ لَمْ يُولَدُوا
هُوَ عَفْرَبٌ
لَمْ يُبْقِ أَعْظَمَ مِنْ «صَبَاحِ الْخَيْرِ» مُعْجِزَةً
تُلَامِسُهَا، عَلَى كَسَلٍ، «صَبَاحُ التَّوْرِ»،
وَاطْمِنَانِنَا الْغَالِي لِيُكَرِّجَ قَهْوَةً يَغْلِي،
عَلَى مَهَلٍ،
وَفِنَجَانَيْنِ، شُكْرًا لِلْحَيَاةِ
أَمَامَنَا يَوْمَ قَوِيٍّ آخَرَ،
يَوْمَ قَلِيلٍ آخَرَ
سَنَجْرُ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنْ صُبْحِهِ
وَمَسَائِهِ
كَالتَّوْرِ فِي شَبَقِ الْجِرَائَةِ،
ثُمَّ نَزْرَعُ كَوَكَبَ اللَّهِ الصَّغِيرِ
بِمَا سَنَنْزِلُ فِيهِ مِنْ وَرْدٍ
وَمِنْ حُزْنٍ
فَنَشْكُرُ لِلْحَيَاةِ الْآنَ،
مِنْ شَبْرٍ إِلَى شَبْرٍ نَحَاوُلُهَا،
وَنَشْكُرُ لِلْحَيَاةِ

* * *

الْخَوْفُ فِي الْخَارِجِ بَلْطَةً تَفْلُقُ حَطَبَ اللَّيْلِ
كُلُّ مَا يَتَحَرَّكُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ
لَهُ طَعْمُ الْخَطَرِ:
سَيَّارَةٌ إِسْعَافٍ،
تَبْرُقُ، تَعْوِي، وَتَفُورُ
لَا سَائِقَ فِيهَا بِلْ كَابُوسٍ،
أَوْ حَلْمٌ أَوْ عَجْزٌ مَكْتَمَلُ الْبِنِيَّةِ
لَهْفَتُهُ زَرْقَاءُ وَحَمْرَاءُ، لَهَا صَوْتٌ
يَحْسِبُهَا الْمَارَّةُ سِيرِينَا الْإِسْعَافِ
عَيْنَاهُ مُحَاوَلَةٌ تَاسِعَةٌ أَوْ عَاشِرَةٌ
لِلطَّيْرَانِ:

- أحتاجُ سَمَاءً لَيْسَ لَهَا أَيُّ رَصِيفٍ!
- أحتاجُ طَرِيقًا لَيْسَ بِهَا حَتَّى غَيْمَةٌ!

طَائِرَةٌ فِي الْجَوِّ تُقَلِّمُ أَغْصَانَ الزَّيْتُونِ
وَتُخَوِّفُ أَسْمَاكَ الْبَحْرِ
تَكْسِرُ مَا يَخْفِيهِ الْقَلْبُ
وَمَا تَنْوِيهِ الْأَقْدَامُ
وَتُخَلِّفُ مَا لَا تَرُغِبُ عَيْنٌ فِي رُؤْيَيْهِ/
وَهُنَاكَ، فِي التَّلْجِ الْأَعْلَى
كُفَّانٌ مِنْهُمْ كَوْنٌ بِتَلْمِيحِ أَظْفَرِهِمْ
فِي مَعْبَدِ «دَافُوسٍ»
شَمْبَانِيَا الْمَوْتِ تَفُورُ مِنَ الْكَاسِ الْبِلُّورِ
وَتَسِيلُ عَلَى السَّفْحِ الْمَأْهُولِ بِنَا
- مَنْ دَكَ الشَّارِعَ فِي هَذِي اللَّحْظَةِ؟
- مِنْ دَلِّ الطَّلَقَاتِ عَلَى أَزْرَارِ الْقُمْصَانِ؟
يَسْتَعْرَبُ مِنْ جَلِيسَتِهِ خَلْفَ الْمَقُودِ
لَمْ لَا يَرْكُضُ فِي جَلِيسَتِهِ خَلْفَ الْمَقُودِ!
يَصْفَعُهُ الْأَمَلُ عَلَى الْحَدِّ الْأَيْمَنِ
فَيُدِيرُ الْحَدَّ الْأَيْسَرَ لِلْيَأْسِ
يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ إِلَى مَنْ يَحْمِلُهُمْ خَلْفَهُ:
العَالَمُ مَحْشُورٌ فِي سَيَّارَةِ إِسْعَافٍ،
تَبْرُقُ.
تَعْوِي.
وَتَفُورُ

* * *

أَنْطَبَقَ الْعَقْرَبَانَ. إِنَّهُ «مَنْتَصِفُ» اللَّيْلِ
الْبَيْضُ الَّذِي مَضَى، لَيْلٌ.
وَالْبَيْضُ الْآتِي، لَيْلٌ.
هَلْ فَكَّرْتَ فِي هَذَا؟
أَنْطَبَقَ الْعَقْرَبَانَ. إِنَّهُ مُنْتَصِفُ النَّهَارِ
هَذَا يُشْبِهُ ذَلِكَ. أَيْنَ الْمَشْكَالَةُ إِذَا؟
سَارَقِصٌ مَعَ الْأَحْيَاءِ رَقِصًا مُخْلِصًا
أَضْحَكُ مَعَ مَنْ لَمْ يَمُتْ، بَعْدُ، مَنَا
وَمَا لَمْ يَمُتْ، بَعْدُ، مِنِّي
أَبْحَثُ عَنِ رِبْطَةِ عُنُقِي،
عَنْ جِذَاءِ،
عَنْ شَقَّةِ لِلْإِجَارِ.
أَدَّعِي الْقُوَّةَ
كِي لَا أَحْتَاجَ إِلَى «تِلْكَ النُّظْرَاتِ»!

* * *

الطريقُ إلى مستشفى الولادة مغلق
البنثُ التي وُلِدَتْ على الأسفلتِ أوَّلاً
ماتتُ أوَّلاً!

توأمها التي وُلِدَتْ ثانيًا،
ماتت ثانيًا

(لم يكن في الوقتِ مُنْتَسَعً لِلأَسْمَاءِ)
عُمُرُ البنتِ الأولى
صِفْرُ

عُمُرُ شقيقتيها... يومٌ واحد

الرضيعةُتان «تستطيعان» الموتِ
على الحاجزِ العسكري!
أليستِ هذه مَوْهَبَةٌ؟

لماذا إذا يقول السيد المحترم
من ويستمينستر

إني لم أَقْدِمَ للعالمِ «إنجازًا»؟
سأزيدُك أيها السيدُ القَلْبِيُّ:

لن أرسلَ سفينةَ فضاءٍ
لاكتشافِ الحياةِ على كوكبِ المريخِ
لكنني سأحاول اكتشافَ الحياةِ هنا،
على كوكبِ الأرضِ

مَنْ يدري

لَعَلِّي أجدُ برهانًا

على أن الحياةَ على كوكبِ الأرضِ،
مُمْكِنَةٌ

بعد النَّعْيِ،

بعد كُلِّ نَعْيٍ

سأخلقُ إفطارًا بسيطًا

سأذهبُ إلى أعمالِ البسيطةِ

سأمرُّ على الحاجزِ اليومِ أيضًا

العمرُ صفر.

الحياةُ غَدًا.

«وَعَدًا وَعَدًا وَعَدًا».

* * *

«وَعَدًا وَعَدًا وَعَدًا»

يزحف في هذا الحيز الضئيل

من يومٍ إلى يومٍ

حتى المقطعِ الأخيرِ من الزمنِ المكتوبِ

وَكُلُّ أَمْسٍ لَنَا
أَضَاءَ طَرِيقِ الْأَغْيَاءِ إِلَى مَوْتٍ مُغَبَّرٍ
انطفئي انطفئي!
أيتها الشمعة المختصرة
ما الحياة إلا طيف يمشي،
ممثّل تعس
يصول ويجول ساعته على الخشبة
ثم لا يُسْمَعُ له صوت.
حكاية يرويها أبله
ملأته بالصخب والعنف
وليس لها معنى» (شكسبير)

* * *

مِمَّ ارْتَعَشْتِ، إِذْنَ؟ رَأَيْتْكَ تَرْتَعِشِ
مِمَّ ارْتَعَشْتِ، أَحِبِّ، وَخَالَفْتَ الطَّبِيبَ؟
لَوْ زَادَ ضَحْكُكَ وَزَنَ خَرْدَلَةٌ لَمُتَّ
لَوْ زَادَ حُزْنُكَ وَزَنَ خَرْدَلَةٌ لَمُتَّ
أَحِبِّ لِمَاذَا لَمْ تَنْظُلِّي كَمَا أَرَادَتْكَ
الْمُمَرِّضَةُ الْأَطِيفَةُ هَادِنًا، وَمُحَايِدًا،
وَمُبَرِّدًا كَالْخُضْرَاوَاتِ،
وَكَالسَّمَكِ
في سلة الصياد؟
تنظر نحو قفل الباب؟
لَكِنَّ الْجَحِيمَ مُهَيَّأً لَخَطَاكَ
عُدَّ لِرَجَائِكَ الْغَيْمِيِّ،
عُدَّ بِهِدْوِيٍّ مَنْ يَتَرَقَّبُونَ الْمُعْجِزَاتِ
كَأَنَّهَا عَمَاتُهُمْ!
أَسْدِلْ بِيَدِكَ جَوَارِ جِسْمِكَ مِثْلَ
مَجْدَافَيْنِ فَوْقَ الْيَابِسَةِ
سَيَظُلُّ نِصْفُكَ فَوْقَ هَذِي الْحَاقَةِ الْعُظْمَى
وَنِصْفُكَ فِي الْعِنَادِ
الرَّيْحِ لَكِ.
والموت لكِ.
والهاوية
لو أنها نَطَقَتْ
لَقَالَتْ (وهي تمسح جفنها)
هذا فتى، بين الهلاكاتِ العديدة،
قد يموتُ مِنَ الْأَمَلِ!

* * *

صديقي
أمرٌ ما، هدفٌ ما،
يغريهم بمواصله ضربك
أنت الذي تتدبر أمرك بمشقة
ولا تُحطِّطُ لحياتك أكثرَ من ساعتين،
أنت الذي تضيِّع طريقتك إلى البيتِ
لقرطٍ ما غيرهُ المساحون!
أنت الذي تُعمِّس لقمتهك الصغيرة
بظلِّ قطعةِ الجبن في الصحن
ولا تملكُ إصلاحَ حذائك في شتاء التاريخ،
فخاراك خائف،
وحديدُهُم خائف
لا بدُّ أن روعتكَ تكمنُ في مكانٍ ما
مثلَ كاتدرائيةٍ
سُمُوها في المسامير والحشبة.

* * *

عرباتُ الصَّيفِ اندلعتَ فيها النارُ
- خذني بردًا وسلامًا،
لا يُعجِبُنِي بيئي
لا يُعجِبُنِي بيتُ العالمِ
لا يُعجِبُنِي ما أوضَّحه أستاذُ التاريخ لنا
أو ما قد يحدثُ في الخارجِ هذي الليلة
لا يُعجِبُنِي غيرُ غموضِ ذراعيك
فما بينهما أولُ شهواتي أو آخرها
خذني الآنَ ...
- خذيني أنتِ إلى شبَّاكِ نهاركِ
كي ننظرَ منه معًا
فأرى الطُّرقاتِ أقلَّ عُبارًا
وجَهَنَّمَ أكثرَ أنهارًا وكمُنجاتٍ
وزرابيٍّ مُلَوَّنةً تتكئِنَ عليها
قولي إسمي لأحبَّ اسمي!
تُعجِبُنِي رائحةُ السَّرْوِ المفروكِ بصوتكِ
تُعجِبُنِي قَفَرْتُكَ الآنَ مِنَ الكُلِّ
إلى نَفْسِكِ، يا بنتُ خذيني!
كي نُصيِّحَ أكثرَ إقلاقًا لنظامِ العشقِ
وأكثرَ عِصْيَانًا ممَّا اتَّحَمَلِ وَحدي.

قلتُ خُذيني
قالتُ خُذني ...
كنا نتحدّثُ عَبْرَ زُجاجِ قِطارينِ افْتَرَقا
في جِهَتَيْنِ
واستيقظنا في طَرَفَيْنِ مِنَ الدُّنْيَا،
نَسَخَرُ مِنَ بَوَاحِ الخاسِرِ للخاسِرِ ...
ثم لقيتُكَ ثابِتَةً
بين مَمَرَاتِ العالَمِ:
كانت معجزةً
مِمّا يُحكى في أُدِيرَةِ الرُّهبانِ،
وفي قِصَصِ الأَطْفالِ،
فهل لأمسُتُكِ إِذ عَرَباتُ الصَّيْفِ
اندلَعَتِ فيها النارُ؟
وهل كان قِطارانِ هنا حَقًّا؟
أم كنا رومانسيّينِ لِحَمْسِ دقائقِ
نهدي، والعالَمُ يتهدّمُ
نافذةً نافذةً،
سَقًّا سَقًّا
بَلَدًا بَلَدًا،
بين ذِراعَيْنِ؟
كان الموتُ يوزِّعُ صورتهُ في الأسواقِ
يُرَوِّجُ في الناسِ بضاعتهُ
وَوَجَدنا وَفْتًا لِنكونَ كما شِئنا!
العالَمُ يا سيِّدتي أَكْبَرُ مِنْ أحوالِ العالَمِ
أوسَعُ مِنْ قَوَسِ الخوذةِ
أصفى مِنْ دَمْعِ النَّادِمِ
أو مِنْ حَمْرِ المنتصرينِ
كنا رومانسيّينِ لِخَمْسِ دقائقِ
كنا نَعسانينِ على ظَهْرِ جِصانٍ يَقِظِ
طارَ بنا
ونسينا كيفَ نُفَرِّقُ بين نُجومِ اللَّيْلِ
وأَسنانِ الهُوَّةِ

* * *

لِكُلِّ إنسانٍ نَجْمَةٌ تُخَصُّهُ في السَّماءِ
هي وَحْدَها تُعَرِّفُهُ كما يَعْرِفُ النُّدْيُ
شِفاةَ الرضيعِ
هذه - إِيّاكَ أن تَكذبَ عَلَيها - نَجْمَتُكَ أنتِ

وَحَدَّهَا، تَعْرِفَ مَا تُخْفِيهِ

وَحَدَّهَا تَعْرِفَ أَنَّكَ هِلَالٌ هَشٌّ

فِي هَالَةٍ «قَوِيَّةٍ».

هِلَالٌ لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ

فَالسَّمَاءُ لَا طُرُقَ فِيهَا

وَلَيْسَ فِيهَا مَنْ تَسْأَلُهُ عَن وَجْهِتِكَ.

تَقُولُ، وَلَا تَسْمَعُ صَوْتِكَ:

كَأَنَّ السَّعَادَةَ بِنْتُ التَّدَكُّرِ

كَأَنَّهَا لَا تُعَاشُ،

كَأَنَّهَا تُسْتَعَادُ فَقَطْ!

تَقُولُ أَيْضًا:

أَحْيَانًا، عِنْدَمَا نُرِيدُ جِدًّا

عِنْدَمَا نُرِيدُ بِقُوَّةٍ،

يَكُونُ مَا نُرِيدُ:

كَمَا يُطْفِئُ كَهْرِبَائِيَّ الْمَسْرَحِ

كَشَفَاتِ الضَّوِّءِ، وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ

تَارِكًا الْمُمْتَلِينَ

يَتَعَثَّرُونَ بِأَدْرَاجِ الْقِلَاعِ

وَأَطْرَافِ السَّنَائِرِ،

يَتَلَاشَى النَّهَارُ.

إِنَّهُ اللَّيْلُ ...

الْمَوَاقِدُ تَشْتَعِلُ الْآنَ وَاحِدَةً بَعْدَ الْآخَرِ

فِي بِيُوتِ الْمُخْتَفِلِينَ.

الْفَحْمُ الْمَجْرُوحُ لَهُ صَوْتُ

نُضُوجِ الْكِسْتَنْاءِ لَهُ صَوْتُ

نَظْرَاتِ الْعَيُونِ عِبْرَ الْأَنْخَابِ

لَهَا صَوْتُ

تَوَقُّعَاتِ رَاقِصِي التَّانُجُو

لَهَا صَوْتُ

الذِّكْرِيِّ وَحَدَّهَا،

مَغْرَمَةٌ بِالصُّورَةِ:

أَنْتِ الْمَتْرُوكُ فِي مَنْفَاكِ

ذِرَاعِكَ لَا يَقُولَانِ شَيْئًا لِأَحَدٍ/

سَاقَاكَ مَمْدُودَتَانِ أَمَامَكَ،

كِعْكَازَيْنِ مَتَوَازِيَيْنِ،

تُحَدِّقُ فِي ثَلْجِ رَأْسِ السَّنَةِ

تُحَدِّقُ فِي الدَّقِيقَةِ الَّتِي تَفْصِلُ

بين رِغْشَتَيْنِ ...
تَسْمَعُ فِي وَهْمِكَ نَفْرَةَ إصْبَعٍ
على الرَّجَاجِ،
ثم تبصرها كاملةً بين ذراعَيْكَ:
- كم أنت حزين
- كم أنت جميلة
لا بُدَّ أَنْ هَذَا حَدَثٌ
وإلا فَمَنْ تلك التي حَمَلَتْها الريح
وَتَمَنَّتْ لَكَ عَامًا سَعِيدًا
إذ أنت تُحَدِّقُ،
وَحَدَّكَ،
في التَّلْجِ؟

* * *

كيف يا جائعِ الرُّوحِ تبدو، أمامَ تكالِبِهِمْ
مُشْتَبَعًا بِرِضَاكَ؟
كيف تبدو أمامَ العِطَاشِ اللَّحُوحِينَ
مُرْتَوِيًّا كالمجاذيفِ في الموجِ
لا تشتكي من أَحَدٍ
ولا تشتكي لأَحَدٍ
وَيُسْعَى إِلَيْكَ،
وفي لَيْلَةٍ الأَوْسَمَةِ
تُصِرُّ على العُزِّي
حتى يَظَلَّ قَمِيصُكَ أَحلى وَأَنْظَفَ
يا صاحبَ السِّرِّ
لا تَشْرَحِ السِّرَّ فَيْكَ،
فما حاجةُ العَينِ
أن يَشْرَحَ البَرْقَ والرَّغْدَ فِيهِ
إذا كانَ عَمَّا قَلِيلٍ
سَيَنْشُرُ أوصافَهُ حيثُ شاءَ
استمرَّ إذا غامِضًا،
كحُطَامِ السَّفِينَةِ ذاتِ الكُنُوزِ،
صامتًا مثلَ مَيدانِ مَعْرَكَةٍ في كِتَابِ عَتِيقِ
وإنك كالعَينِ يَكْفِيكَ أَنَّكَ عَينٌ
ولا تشتكي من أَحَدٍ.
ولا تشتكي لأَحَدٍ.

* * *

لا، لستُ غيمَةً

أساقُ في سُهولةِ السماء
لكنني أمرُّ في وعورةِ الطريق
هادئاً ورائقاً كأنني من الغيومِ،
أطيشُ فوق مشتلِ الفخاخِ،
أسيرُ في برِّيَّةِ الألغامِ هادئاً
وخائفاً وسيِّداً وراجفاً وجاهلاً وعارفاً
وكلٍ وعرٍ هَيِّنٍ
إلا وعورةِ الطريقِ إذ أسيرُ خطوتينِ
من مقعدي إلى سريري
كلِّما أتى المساءُ!

* * *

أنا مُصابٌ بالليل!

* * *

في الليلِ،
كلَّ الإجاباتِ غَباً.
كل حِكْمَةٍ ظننَّها ثابتةً ثباتَ السُّقوفِ
تَهْتَرُ فجأةً، تَطُنُّ في الفُضاءِ
كَلُوحِ هائلٍ من الصَّفِيحِ
قَرَعَتْهُ يَدٌ لا تُرى
الليلُ مدينةُ الغَازِ
وعلاماتِ استفهامٍ:
ما قَصْدُ الأرضِ
حين تَلدُّ الفواكِهَ والسَّحالي،
البقولَ والبراكينِ،
عروضَ الأزياءِ، والقملِ،
الرَّنابِقِ، والقِرَدَةِ،
والآخرينَ الذين في البالِ؟
ما قَصْدُ المَطَرِ من الهُطولِ
على المقبرة؟
ألا يرغبُ خطيبُ صلاةِ الجُمعةِ
في الاستماعِ إليَّ ولو مرَّةً واحدةً؟
ألا يُفَكِّرُ الجنرالُ المنتصرِ
لماذا أقدَمَ جُنْدِيَّه مساءً أمسِ
على الانتحارِ؟
من قال إنني لا ألامُ
على خرابِ ساعتِي
أنا الصائغُ الصغيرُ

في ورشة الكون؟
أنا في هذا الكوكب
أم هذا الكوكب في؟
هل أمشي في الشارع وحدي وأنا وحدي؟
رتبت زهور مسائي
لألاقي امرأتي.
هل أحمل الآن مكنسة هائلة
كي أكنس ما وقع من فئات التاريخ
في بيتي أمس
وما قد يقع من التاريخ الليلة؟
ولماذا أسأل كالأبله
عن سبب الليل؟
أما من إبرة في هذه البرية
ترتق غيمتي غيمة
وترتق الحفي والظاهر في؟
أما من مروحة عظمي
تطرد هواء الهرطقة من هذا الهيكل؟
من بوسعه أن يصفني
إن أخطأت مرأتي في وصفي؟
المرايا التي علقتها القبيلة
كسرتها. أم، ترى، كسرتني؟
وأيقونتي أنفلقت صورتي:
فتى، صاحباه ملاك وإبليس
في رحلة واحدة

* * *

- أما من علاج لمرض الليل يا سيدي؟
- لا، لا علاج لمرض الليل.
كما يشتهي الخادم أن يأمر سيده
ها أنت تأمرها:
- اعترفي يا نفسي بغياب يقيني
قولي إنني
أشك في ما لا يبعت على الشك
قولي إنني كلما ذكروا البطولة
رأيت هشاشة تخفي وتخطف
كلما قالوا «خاسر»
تخيلت ما ربح
قولي إنني لست راجياً كما أدعي

قولي إني لست يائساً كما أدعي
أنا الذي رأيتُ وُلدًا
بحجم باقة نرجس
يلاحقُ دبابهً بحجم التاريخ!

* * *

باقة نرجس
مُمدّدة على الأسفلت
من أين أتاها هذا الأحمر؟

* * *

صورتُهُ تلوخُ،
صورتُهُ تُلحُ،
صورتُهُ تُدقُّ على النافذة
كيف وَصَلَ إِلَيْكَ أنتِ
أيها الأيمنُ في حَيْرَتِكَ
أيها الكامنُ في الكلامِ؟
هو لا يعرفُك،
هو لا يطلبُ رثاءك
هو لا يطلبُ حتى خَجَلَك!
تقول

ولا تسمع صوتك:
حَدِّقِي يا نَفْسِي في الأمرِ المَهولِ:
أيُّ أَمَلٍ أُمُّهُ وأبوهُ المَوْتُ؟

* * *

أنا الذي حَسِرْتُ جَوْلَاتِي،
لم يَبْقَ لي
إلا أن أشتغل في أعمالِ البناءِ،
وبيدَيَّ يائستينِ
أبني أربعةَ جُدرانٍ للأملِ!

* * *

هنا، تحت فُؤَلِ القِضاءِ
حيث تغدو حوائطُ بيتي حُدودَ البلدِ،
وحيث الظلامُ مُضاءٌ بِرِزَيْتِ الجنونِ،
سوف أرفعُ لي عَلَمًا سَيِّدًا
وَأَسْمِي مَعْدَاتِي المنزليةَ جَيْشًا
وعَكَازَ شيخوختي صولجانًا
وكرتونةَ البَيْضِ في رَفِّ ثلاجتي برلمانًا
يصيح على مجلسِ الوزراءِ

الذي هو رَفُّ الخُضارِ
(سريعُ الفسادِ كما تعلمون!)
وأبسطُ سِجادةِ أرجوانيةِ اللونِ
فوقِ الدَّرَجِ،
لضُيوفِ الخِيالِ،
ولتَكُنْ أوصُفُ الزَّرْعِ في جانِبِي دَرَجِي
حَرَسًا للشَّرَفِ
سَاعِيْنِ بعضَ العِصافيرِ
في سِلْكِ الدِّبْلوماسِيِ
كي يُعلِنوا لجمِيعِ الأُمَّمِ
أَنْ لي عِلْمًا سَيِّدًا
سوفِ «أرسِلُهُم» سَفراءَ
إلى أُمَّمِ الأَرْضِ
كي يَتَعَنُوا بما ظَلَّ لي مِنْ جُنُونِ.
سأرسِلُ للغالِبينَ رسالةَ شَكِّ،
وأَسئَلُهُ سادِجَةً:

* * *

أيها الأعداءُ «شيءٌ ما» يُثيرُ الشكَّ فيكُم
كُلُّ ما في جَبَلِ الأوليمِبِ مِنْ آلِهَةٍ
مَعَكُم.
تتلقَى الأمرَ مِنْ شَهواتِكُم
تَرْمِي إذا تَرْمونَ
والأَرْضُ كما شِئْتُم تَدورُ.
نَصْرُكُم مَهْتَنُكُم
كلَّ حَرْبٍ ضِدِّنا تَرَفَعُكُم أَعلى
وأَعلى
ثم ترمينا على أقدارنا
مثل سَرِّوٍ في ظَلامِ المدفأةِ.
كُلُّ ما تَبْنونَهُ يَبقى وَيَزْدادُ
وما نَبْنِيهِ تَدْرُوهُ المَراثي
نحن للقبْرِ، وأيديكُم لِشِمْبانيا الطَّفْرِ
والذي في دَفنِ القَتْلِ لَدَيْكُم
ليس إلا مَيِّتًا،
مُتَ قَيَموتُ
أيها الأعداءُ صارَ الانتصارُ
عادةً يوميةً كالخبزِ في أَفْرانِكُم
فلماذا هذه الهستيريا؟

ولماذا لا نراكُم راقصين؟
كم من النَّصر سَيَكْفِيكُم لكي تَنْتَصِرُوا؟
أيها الأعداء، «شيءٌ ما» يُثِيرُ الشكَّ فيكُم،
ما الذي يَجْعَلُكُم، في ذُرُوةِ النَّصرِ عَلَيْنَا،
خائفين؟!

* * *

وفي جُنونِكَ الحَمِيمِ
سَتَظُلُّ تَسْمَعُ حَشْحَشَةَ أوراقِ
تَحْمِلُهَا النافِذَةُ:
أذار، شباط، آب، كانون الثاني،
حزيران، نيسان...
وَقَعَ خُطِيَّ تُرِيدُهَا،
وخطِيَّ لا تُرِيدُهَا
هديلَ مَسْرَاتِ،
وهممةَ كوارثِ.

* * *

في ليلةٍ كهذه،
حيث تَمُوتُ نُجُومٌ وتولَدُ أُخرى
حيث لا الميت ميت
ولا المولود مولود،
حيث لا السَيِّدُ سَيِّدٌ تَمَامًا
ولا العَبْدُ عَبْدٌ تَمَامًا،
حيث للأجراسِ صَمْتُهَا،
وللصَّمتِ أَجْرَاسُهُ،
ما الذي تَسْتَطِيعُ أن تَفْعَلَهُ؟
على المسمارِ ذاتِهِ،
على الحائطِ ذاتِهِ،
عَلِقِ الرِّزْنَامَةَ الجَدِيدَةَ
هذا ما تَسْتَطِيعُ أن تَفْعَلَهُ

١/٧/٢٠٠٤ - ١/١/٢٠٠٢

(*) نتيجة الحائط

زهر الرمان
بيروت ٢٠٠٢

بِاتِّسَاعِ السَّمَاءِ

هَادِنًا،
كَالْخُزَامِيِّ الَّتِي أَنْعَمَرْتُ
بِالرَّذَادِ،
عَائِدًا
مِنْ غُرُوبِ زَمَانِي
إِلَى أَوَّلِهِ،
عَارِمًا، كَاتِّصَالِ الْمَطَرِ
بِالْمَطَرِ،
سَاهِمًا،
مِثْلَ طَيْرٍ يَقْبِسُ اتِّسَاعَ الْقَفْصِ،
أَرْجَعْتَنِي خُطَايَ إِلَى مَنْزِلِ
كَانَ لِي.
قُلْتُ: هَلْ صَارَ لِي؟
قُلْتُ: حَدِّقْ:
رَأَيْتُ الْخُزَامِيَّ
ارْتَمَتْ فِي الدَّبُولِ،
وَالْمَطَرِ،
كَفَّ.
أَمَّا الطَّيُورُ:
كَأَنَّ الطَّيُورَ الَّتِي
غَادَرْتُ، هَكَذَا، لَيْلَ أَقْفَاصِهَا
كَلَّمَا خَبَطَتْ
فِي جِهَاتِ الْهَوَاءِ
أَبْصَرْتُ حَوْلَهَا
قَفْصًا
بِاتِّسَاعِ السَّمَاءِ!

السَّرَوَاتُ الثَّلَاثُ

شَفِيفًا، وَاهِنًا،
كُنْعَاسِ الحَطَّابِينَ،
أَمِنًا،
مُنْذِرًا بِوِطْأَةِ تَلِيهِ،
رَذَادُ الضُّحَى
لَا يَحْجُبُ هَذِهِ السَّرَوَاتِ الثَّلَاثِ
عَلَى
المُنْحَدَرِ.
تَشَابُهَهَا تُكَدِّبُهُ التَّفَاصِيلُ،
وَبِوَكْدِهِ البَهَاءُ.
قَلْتُ لَنْ أَجْرُوَ عَلَى إِطَالَةِ النِّظَرِ.
ثَمَّةٌ حُسْنُ
يُودِي بِالجُرْأَةِ.
ثَمَّةٌ وَقْتُ
تَتَلَاشَى فِيهِ الشَّجَاعَاتُ.
الغَيُومُ السَّارِيَةُ فِي الأَعَالِي،
تُعَيِّرُ شَكْلَ السَّرَوَاتِ.
الطَيُورُ الرَّاحِلَةُ إِلَى بَدَائِلِهَا،
تُعَيِّرُ صَوْتِ السَّرَوَاتِ.
حَطَّ القَرْمِيدِ الثَّابِتِ وَرَاءَهَا،
يُنَبِّتُ حُضْرَةَ السَّرَوَاتِ.
ثَمَّةٌ أَشْجَارُ ثَمَارِهَا الوَحِيدَةُ
حُضِرَتْهَا.
أَمْسِ،
فِي سُرُورِي المَبَاغِثِ،
رَأَيْتُ حُلُودَهَا العَالِي.
اليَوْمِ،
فِي حُزْنِي المَبَاغِثِ،
رَأَيْتُ الفَاسِ.

مَمَّا كَةُ الرَّمْلِ

بِمَجَارِيفِ صَغِيرَةٍ،
وَدِلَالٍ مِنَ الْبِلَاسْتِيكِ،
الْأَطْفَالِ،
ذَوِ الْمَلَابِسِ الضَّاحِكَةِ
يَبْنُونَ قِلَاعًا مَتِينَةً مِنَ الرَّمْلِ،
يَتَلَقَّفُونَ الْكُرَاتِ فِي الْعَابِ
بِلا قَوَاعِدِ،
مَتَصَائِحِينَ،
بَيْنَ الشَّتَائِمِ وَالضَّحْكَ
يَتَخَادَشُونَ فِي اشْتَبَاكَاتٍ قَصِيرَةٍ
لَا بَدَّ مِنْهَا،
لَا بَدَّ أَيْضًا مِنَ الشُّكُورِ
«لِمَاذَا تَتْرَكُونَنِي وَحْدِي؟»
«لِمَاذَا لَا تَتْرَكُونَنِي وَحْدِي؟»
يُقْرِضُونَ عَلَى أَلْوَجْهِهَا
حَطْفًا
ثُمَّ يَعْتَدِلُونَ حَطْفًا كِي
تَطِيرَ الْأَرَاغِيحُ
أَعْلَى،
يَخْتَرَعُونَ مَطَالِبَهُمُ الْمُبَاغِتَةَ:
كُوبًا مِنَ الْمَاءِ،
اسْتِعَاثَةً سُرْعَانَ مَا تُنْسَى،
مَنْدِيلًا
نَظْرَةً لِلْمَعْجِزَةِ الْوَشِيكَةِ:
«أَنْظُرُوا مَاذَا سَأَفْعَلُ الْآنَ!»
«أَنْظُرِي كَيْفَ سَأَقْفِزُ!»

* * *

وَفِي الْقَوَسِ الْمَاهُولِ،
حَوْلَ الْحَدِيقَةِ،
عَلَى مَقَاعِدِ خَشَبِيَّةٍ
تَأْكَلُ عَنْهَا طِلَاءَ الْكَمُونِ،
الْأُمَّهَاتِ وَالْجَدَّاتِ،
بِمَلَابِسٍ مَكْتَهَلَةِ الْأَلْوَانِ
يَلْمَسْنَ يَاقَاتِهِنَّ
اتِّقَاءً لِهَبَّةِ بَرْدِ،

أَوْ، بِصَمْتِ الْأَصَابِعِ
يُمْلِسْنَ تَجَاعِيدَ الْهَمُومِ،
وَمِنْ حِينٍ لِحِينِ، دَفْعًا لِلْمَلَلِ،
بِأَصْوَاتٍ خَفِيضَةٍ،
يَتَبَادَلْنَ الْأَخْبَارَ،
يُرْسِلْنَ لِأَطْفَالِهِنَّ
انْتِبَاهًا بِاسْمًا،
نَظْرَةً تَشْجِيعَ،
أَوْ تَلْوِيحَةً لِلتَّعَالِيمِ.

* * *

قَطَّةٌ ثَقِيلَةٌ الْخُطَى،
بَارِزَةٌ الْبَطْنُ،
تَجُولُ فِي ضَلَالٍ،
بَاحِثَةً عَنْ مُبْتَغَاهَا.
رَفْتُ طَيُورٍ، بِلَا غِنَاءِ،
يَمْرُقُ بَبْطِئٍ
كَأَنَّهُ طَابُورٌ مِنَ الْأَسْرَى،
غُيُومٌ غَامِقَةٌ
تَتَكَدَّسُ فِي الْأَعَالِي،
شَمْسٌ صَغِيرَةٌ
تُوَاصِلُ الْمُحَاوَلَةَ.
بُكَاءٌ قَوِيٌّ
قَادِمٌ مِنْ مَمْلَكَةِ الرَّمْلِ،
أَحَدُهُمْ يَصِيحُ فِي وَجْهِ الْجَمِيعِ:
سَقَطَتِ الْقَلْعَةُ.

٢٠٠٠-٢-٢٧

عُرْفَةٌ مُوقَّتَةٌ

قال:
في عُرْفَتِي المَاجُورَةَ،
بين جُذْرانِهَا التي لا تُصْغِي لِأَحَدٍ
سِوَايَ،
سَمِعْتُ أَصْوَاتَ القِتَالِ الدَائِرِ
حَوْلَ كَتْفِي.
رَأَيْتُ جَنُودًا
بِخُودَاتٍ تَكْسُوها أَغْصَانُ الزَيْتُونِ
أَوْ مَا يُشْبِهُ أَغْصَانِ الزَيْتُونِ،
يُطْلِقُونَ النَارَ بِضَلَالٍ دَقِيقٍ،
تَحْمِيهِمْ خَنَادِقُ
لَا بَدَّ أَنَّهَا مَحْفُورَةٌ هُنَا
فُقْرَبَ قَدَمِي! وَإِلَّا
مَنْ أَيْنَ لَهُم هَذِهِ التَّقِيَّةُ؟
وَلِمَاذَا الخَوْفُ حِصَّتِي وَحْدِي؟

قال:
في عُرْفَتِي المَاجُورَةَ،
بين المَقَاعِدِ القَلِيلَةِ،
رَأَيْتُ نَعَامَاتٍ
تَحْمِلُ عَلَى غُيُومِهَا رُتَبًا عَسْكَرِيَّةً
وَأُمُورًا، إِذ تَنْجُو لِإِنَائِهَا،
تَنْجَعُدُ خَطُوطُهَا أَعْلَى الفَخْذَيْنِ.
وَحَمَامًا أَعْمَى
يَبْحَثُ عَمَّا يَبْحَثُ عَنْهُ.
رَأَيْتُ أَنَا سَا
يَحُوسُونَ حَوْلِي
مُخَلِّفِينَ عَلَى السَّجَادَةِ
أَثَارَ أَظْلَافٍ،
وَإِلَّا

مَنْ أَيْنَ لِي هَذِهِ الرِّعْشَةُ؟
هُنَا مُسْتَشَارُونَ سَعْدَاءُ.
هُنَا رُؤَسَاءُ المَدُنِ
بِأَحْدِيثِهِم اللَّامِعَةَ،
وَجِبَاهِهِم الصَّيِّقَةَ
وَشَعْرُهُم المَصْبُوغَ

هنا شواهدُ مطمورةٌ
بالخزامي والآيات.
وهذا الصَّبِيُّ المُتَسِيخُ الأظافرُ،
الحاملُ أدواتِهِ الغليظة،
هل هو الأملَسُ الأصمُّ ابنُ حارتنا،
أم أنه التاريخُ؟
الغرفة،

كأنِّي ما غِبْتُ عنها
خمسةً وثلاثينَ يوماً
لولا هذه الأوراقُ الساقطة
من نَبَّتِي المنزليَّةِ.
قال:

نَطَّفْتُ الغرفةَ كُلَّها
تَرَكَتُ الأوراقَ الدَّابِلَةَ
في مكانِها
دائرةٌ عَظْمَى على السجادة،
حَوْلَ القَوَّارِ الضَّخْمِ.
قال:

لن أكنسها
سأتركُ غيابي،
هكذا،
على هَيَأْتِهِ.

* * *

المتروكُ، الراضي بعزلتهِ
قال:

هنا، في غرفةٍ
أُؤبِتُ إليها وراءَ الأَقاصي
لم يتركوني!

٢٠٠٠-٢-١٦

كان واضحًا

كان واضحًا
أنَّهُمْ في الجانبِ الموجِعِ
من التاريخ.

كان واضحًا
أنَّ فيهم جَزَعُ الأيائلِ
في هَواءِ الصَّيْدِ،
ووجومَ نمرٍ راشدٍ
يتشمَّسُ داخلَ الأسوارِ.

كان واضحًا
أنَّ ثلاثةً وثلاثينَ صليبيًا
تنتظِرُهُم

قبل صياح الديك
(إن كان قادرًا على الصياح)
كثرت المراثي وقلَّ الأملُ.
الكاميرا، بالطبع، لا تستطيع
تصوير ذلك كله،

لكنها

استطاعت أن تُصوِّرَ الاحتفالَ السعيدَ
بأكمله:

عقالُ أبيه

انحدَرَ إلى نشوة العُنُقِ،
قلادةً سوداءَ تتأرجحُ في المسرَّةِ،
عكازُهُ المُسنُّ يُرَقِّصُ الأعالى،
لا أجملَ من عجوزٍ يَهْزُهُ الرضا.
شالُ أمِّه يكاد، في الرقصةِ، يُفلِثُ
من يديها الطائرتينِ،

أغنيتها

ترقُّعُ سَقْفِ الدارِ أمتارا.

أصدقاؤه القدامى،

بقبلاتهم الطويلةِ،

بدا كما لو أنَّهم

أرادوا الإحتفاظَ لأنفسِهِم

بِخَدِّيهِ،

أما هو

الأسيرُ العائدُ مِنَ النَّايِ

القادم من السُّكوت الضيِّق،
والأنين الإنفرادي،
فجأة،
بُطْفٍ وإيناس،
أحاطَ خاصرةً أخته «الجديدة» بيديه،
رفَعَهَا
كَمِصباح.
يُدْهَشُهُ كيف وُلِدَتْ
في غيابِه!
كيف كَبُرَتْ، هكذا،
في غيابِه!
يُطْرِبُهُ الرَّنِينُ الفسيح
إذ زغاريدُها
تُلاحقُ أشباحَ الليلِ
وتَدْرُوها
كنخالةٍ هاربة
بعيدًا وراءَ البوابات.
الأسيرُ
العائدُ بأوجاعِ المفاصلِ
وخشونةِ الذكرياتِ
انضمَّ إلى الرقصة:
كأنَّ الأملَ
صَفَعَهُ وَقَبَّلَهُ بِحَرَكَةٍ واحدةٍ!

الصندوق

على ظهري طوال الوقت؟
لم تَقُلْ أُمِّي،
ولم يُخْبِرْني زَمَنِي
أَن خِفْتَهُ سَتَكْذِبُ عَلَيَّ.
كيف، فجأةً، تُقُلْ الصندوق؟
لمن أُفَسِّرُ تَشَبُّهِي بِهِ
إلى الآن؟
لماذا، فجأةً، كَتَعْتُرُ المخمور
في تَنِيَّةِ السَّجَّادَةِ،
سَقَطَ تَحْمَلِي وانهار؟
- ضَعُهُ، لو بَرَهَةٌ، جَانِبًا
- دَخَرِجُهُ عَنِ التَّلِّ
- دَعِ غَيْرَكَ يَحْمِلُهُ
- تَتَلَازِمَانِ حَتَّى الحُفْرَةِ الأَخِيرَةِ؟
- ثَمَّ، أَيُّهَا السَّيِّدُ،
ماذا تَحْمَلُ في صَنْدُوقِكَ هَذَا؟
كيف أُعِيدُ لَهُمَ مَا قَالَ الجَنِّيُّ لأَوْلَادِهِ:
حياتي لا تَحْمِلُنِي على ظَهْرِهَا
بل أَحْمِلُهَا.

لَسْتَ نَجْمًا

لَسْتَ نَجْمًا لِهَذَا الزَّمَانِ
وَكَأْسُكَ
لَا يَشْتَهِيهَا نُجُومُ النَّدَامَى
فِي زَمَانِ كَهَذَا،
تَوَهَّجْ قَلِيلًا
وَلَا تَتَوَهَّجْ تَمَامًا
لَسْتَ نَجْمًا لِهَذَا الزَّمَانِ
وَلَا تُشْبِهُ النُّجُومَ
فِي الْفَرْقِ بَيْنَ تَضَارِيصِهِ
وَالْمَجَازِ الْبَعِيدِ.
تَعَمَّدْتَ أَنْ تَتَنَاءَى
بِأَوْصَافِ قَلْبِكَ
عَنْ ضَوْئِهِمْ
لِيَكُنْ
لَسْتَ، يَا شَاعِرًا، نَجْمَهُمْ
أَوْلَنكَ بَحَارَةٌ يُسْرَعُونَ إِلَى
صَخْرَةِ الْإِرْتِطَامِ
رَبَّمَا تَهْلِكُ الْآنَ كَالهَالِكِينَ
فَحَلَّ الْهَلَاكُ اضْطِرَارًا
وَلَيْسَ انْسِجَامًا
أَتَقِينِ الشَّعْرَ
حَتَّى تَغَارَ اللُّغَةَ
أَتَقِينِ الْحُبَّ
حَتَّى يَغَارَ الْحَيَالَ
أَتَقِينِ الْعُمَرَ
حَتَّى يُقَالَ
لَقَدْ شَابَهَتْ نَفْسُهُ نَفْسَهُ
أَتَقِينِ الْمَوْتَ حَتَّى يَفِرَّ احْتِرَامًا
إبريل، ٢٠٠١

ثم، وفي بعتة، تدخُلين

كأنَّ الخليقةَ في مَهْدِها
لم تزل تَتَعَلَّمُ معنَى الحليبِ،
فلا حَرَفَ بين الشِّفاهِ
ولا حَوَفَ مِمَّا سيأتي
ولا خَدَشَ في صَفَحَاتِ الذُّنُوبِ
كأنَّ البِحارَ
فراعُ سيمتلئُ الآنَ بالماءِ.
والرَّمَلِ
يجهَلُ شَكْلَ خطوطِ النِّعالِ
ولم يَخْتَرِعْ طُرُقًا للمُساوِرِ
حتَّى يَحِنَّ إلى غيرِها
أو يغادرَها
أو يؤوبُ،
القرى
لم تزل مُدُنًا للسواقي
وللجُوزِ والكِستناءِ،
ولم تعرف الخيلَ سَرَجًا لها
والميادينَ لم تَرَ جيشًا
سوى القُبرَاتِ
كأنَّ البداياتِ تَبْدَأُ للثَّوِّ
ثم، وفي بعتة،
تدخُلين من البابِ كامِلةً:
يَدْخُلُ الكَوْنُ أُولَى دَقائِقِهِ
ويدبُّ الصِّباحُ
تقوم الشوارعُ
تُبنى العماراتُ، يسكنها الحَلَقُ
ترمي السماءُ شعاعًا جديدًا
على بُرعم اللوزِ
والعشبُ يدعو الخرافَ لترعى
يُخرجُ طفلًا إلى طِفلةِ كُرَّةٍ
وهو يغمزها
يُخرجُ الجنرالُ مِنَ القَبْرِ
نحو الميادينِ
يعتمرُ السِّلْمُ خوذتَهُ
كي تخافَ الحُروبُ،

تتمادي المحاربتُ في لَذَّةِ التَّلْمِ
تستيقظُ الرَّغَبَاتِ الصَّغِيرَاتُ

من نومها

ويطير الضجيجُ

كأنَّ خُبُولَ الخَلِيقَةِ راحت

تُلاحقُ أَقْدَامَهَا في السُّهوبِ،

لمسةً، لمسَّتَيْنِ،

وشهوتنا

تَفْلُقُ الضُّوءَ ضَوْءَيْنِ

والصمتُ بيني وبينكِ

هَمْسٌ يَرِنُ

وَرَعْدٌ يَدُوبُ.

كأنَّ البلادَ بخيرٍ،

ورايتهَا

تبدأ الآن بالإرتفاع على

سطحِ مدرسةٍ للبناتِ

وفي غابةِ التوتِ ينهمك القزُّ

في شغلِ شالِ الحريرِ

على كتفِ اليومِ

والتَّحْلُ يَغْرُلُ أَوَّلَ حَيْطٍ من الشَّهْدِ

بين زهور الأكَاسيا

كأنَّ الحياةَ على ما يُرَامُ

كأنَّا ككَلِّ المُحِبِّينَ

والأرضَ تُشْبِهُ كَلَّ الأراضِي

ولا بأسَ لو كان في جَسَدِنَا

سؤالٌ

وأثارُ بعضِ النُّدُوبِ.

نيسان، ٢٠٠١

هيرا

ضِحْكُهَا
حَدَائِقُ تَحْتَ الْبَرْقِ.
رَقَّتْهَا
غَابَةُ سُرُوٍ تَحْتَ الرَّذَاذِ،
شَجَاعَتْهَا
فُيَّةُ شَرَارٍ فَوْقَ سَهْرِ الْبَلُوطِ.
رَعْبَتْهَا
كَاسِحَةُ أَمْوَاجِ.
جَسَدُهَا
ذُنُوبٌ تُلْحُ لِكَيْ تُرْتَكَبَ،
وَطَيْرَانٌ يَحُومُ لِيَحِلَّ فِي طَيْرِ حَبِيسٍ.
مَا تَفَكَّرُ فِيهِ
يُرْبِكُ فِرَاسَةَ الْعَرَّافِينَ،
وَيُوسِعُ حَدَقَاتِ الْكَهَنَةِ.
لِكَاسِ الْمَاءِ عَلَى شَفَتَيْهَا
نِدَاءُ النَّيِّدِ،
وَإِعْرَاءُ الصَّامِتِ بِالْبُوحِ.
مِشْطُهَا دَافِيٌّ
مِرَاتُهَا مَحْسُودَةٌ.
تُرَبِّي حَوْلَ أَذْيَالِ ثَوْبِهَا الشَّيَاطِينَ
فَتُحْبِطُ بِكُرْسِيِّهَا الْعَالِيِ
كَقِطْطِ رَضِيْعَةٍ
مَعْلُوبَةٍ
عَلَى أَمْرِهَا
يَتَوَعَّلُ الْهَوَاءُ
فِي رَدَائِهَا
تَوَعَّلَ السَّكَاكِينُ
فِي الْحُلْمِ.
لَهَا سَطْوَةٌ وَمُرَاوِدَةٌ،
كَأَنْثَى عَرِينِ صَخْرِيٍّ
تَنْتَوِي مَا تَنْتَوِي
فِي انْتِظَارِ
وَحْشِهَا.
عَيْنَاهَا، إِذَا شَاءَتْ،
بَحْرٌ لِلْمَعَاصِي،

وسجّل للأخطار،
وإذا شاءت،
ضوء برّي
يُعيدُ إيمانَ البحّارة
بالمجاذيف.
وإذا شاءت،
غامضتان، كالحلم المنسيّ صباحًا.
صمتها
لملمس قميص السّاتان إذ
يسقط على شجيرة ورد.
صوتها
لم يسمع بالوصايا العشر.
أنيها القصير
زقاق يُفضي إلى القيامة.
وفي مساء الكون،
حيث تغرق الجزر الزرقاء
في ضباب البحر،
وتنطفئ المشاعل
في ظلام اليونان،
تُمسك في يدها صولجانًا
يلمّع.
ماكرة، ذات تدابير.
نمرّ حيلها على أثينا،
مُرور ماء الوادي على الحصى،
وانزلاق الأسماك
بين كهوف الموج،
في بحر «إيجة».
غيورة على المنوّج الكبير،
لكنّها تعرف
أنّ انتقاء الخُصوم فنّ
كانتقاء الأصدقاء.
هكذا تنتقم من
عاشقاته السيّئات الطالع.
ملكة مرتوية من كلّ عطش.
تردري التوسّل والتسؤل.
بايماءتين،
ترسم أشتاتًا من المصائر!

تَهَبُ اليأس لملاحقها المثابرين.
ودون أن تلتفت،
تُلقي بهم على الجانبين،
وتركض
مَفْرودةَ الذراعين،
مُرسلَةَ الشَّعر،
حُرَّةَ الحُطى،
نحوَ محبوبها النهائي:
تتكوّم في حِضنه
كرائحةِ النعنع في النعنع،
كقرْدَةٍ رَضيعَةٍ في حِضنِ أمها
تنتظرُ
الأمسَةَ
والحليبَ
واللَّهُو
والنُّعاسَ،
فَراشَةً تتأملُ بُرجَ الضَّوءِ،
عِرْقَ دَهَبٍ في الصَّخَرِ،
سِرًّا يَتَخَبَّأُ في صَفائِهِ،
هالاً داخلَ هالَتِهِ،
سُنُونُوةً في سُخُونَةِ القَشِّ،
توشِكُ على الرِّفِيفِ.
هكذا تطير به
من أناشيدِ الإغريقِ
إلى الغابةِ،
ومن غَمامِ الأسطورةِ إلى
كوخها السُّخنِ:
تَنشُرُ له طيبها
وبخورها،
تُعَلِّقُ المَشاعِلَ على الجُدُرانِ،
تُعَلِّقُ القَمَرَ في الأعلى،
وتوفِّدُ له المَجْمَرَةَ.
تجسُّ رُوحَهُ بِباطِنِ كَفِّها،
تَميلُ بِرأسِها على صَدْرِهِ،
تَمسَحُ بِشَعْرِها المُنْهازِ،
ضُلُوعَهُ،
ودفترَ ذِكْرِ ياتِهِ العَزيزِ.

تَرْمِي يَدَهَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ،
وَنظَرَاتِهَا عَلَى شَفَتَيْهِ.
تَمُوتُ دَائِمًا فِي اللَّحْظَةِ
الْمُنَاسِبَةِ،

تَمُوتُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ فَقَطْ،
عِنْدَمَا تَصْعَدُ أَغْنِيَةَ رِضَاهَا،
مِن مَخَدَّتَيْهَا الْمَضْغُوطَةِ
إِلَى سَقْفِ الْعَالَمِ.
تَنْفُضُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ،
زَهْرًا بَرِيَّةً،
أوراقَ رِيحَانٍ،
وَحُزَامِي،
وَزَعْفَرَانٍ،
وَفَلْفَلٍ،

مَنْسِيَّةً بَيْنَ ثَنَائِيَا ثَوْبِهَا وَثَنَائِيَاهَا،
وَمَلْمُوسَةً كَالثُّونِ فِي الشَّيْطَانِ!
وَفِي الْخَارِجِ،
بَيْنَ جُدُوعِ الْغَابَاتِ
الْمَبْلُولَةِ،

يَتَلَاشَى عَوَاءَ الذِّبَابِ،
تُرْخِي النُّمُورُ أَفْحَادَهَا
الْمُجْهَدَةَ،

تَنْضِجُ النُّقْطُ السُّودُ
عَلَى جِلْدِ الْفَهْدِ

لَأَنَّهُ تَوَقَّفَ عَنِ الرِّكْضِ.

تَتَنَاوَمُ السَّنَاجِبُ وَالتَّعَالِبُ
فِي فِرَائِيهَا،

الْوَعْلُ

يَنْتَزِعُ شَجَرَةَ رَأْسِهِ مِنْ

أُنْبِنِ الشَّجَرَةِ،

وَلَا يُسْمَعُ فِي جِهَاتِ اللَّيْلِ

وَمَعَابِدِ الْإِغْرِيقِ،

إِلَّا صَوْتُ الْقَمَرِ.

يَعْمُرُهَا.

تَلْبِي:

تَرْمِي شُرُورَهَا الْبَاهِرَةَ

عَلَى أَمْلَاحِ الْمَحْبُوبِ،

تتكوّم في حِصْنِهِ
غَيْمَةً عَلَى جَبَلِ الْكُونِ،
تَحْكُهُ طَرَبًا،
وتَأْمُرُ الْحَدَائِقَ أَنْ تَخْضَرَ،
فِي جَهَنَّمَ
أَذَارُ، ٢٠٠١

كُلَّمَا حَلَّ افْتِرَاقُ

لماذا كُئِمَّا حَلَّ افْتِرَاقُ
حَلَّ بِي غَضَبُ؟
وكأَنَّمَا تَارِيخُنَا نَالَ الْبِرَاءَةَ
مِنْ غَرَائِبِهِ
وكأَنَّنِي سَبَبٌ لَهَا
وكأَنَّكَ السَّبَبُ
كَتَرْتُ مَفَاتِيحِي
وأبوابي غَدَتْ حَطَبًا
يُضَافُ لَهُ
إِذَا وَدَّعْتُهُ وَأَقْبَيْتُهُ حَطَبُ
فَتَحْتُ الْبَابَ حِينَ وَصَلْتُ مُبْتَعِدِي
وَأَلْقَيْتُ الْحَقِيْبَةَ،
كَانَتْ الْمِرْأَةُ قَدْ سَقَطَتْ
وَفِيهَا ظِلُّ وَجْهِ
مِثْلَ جَنْدِي قَلِيلٍ،
تَأْيِيهِ
وَرَفَائِهِ نِصْفَانِ:
مَنْ مَاتُوا، وَمَنْ هَرَبُوا.
لماذا كَلَّمَا حَلَّ افْتِرَاقُ
لَا أَهَشِّمُ وَجْهَ كَوَكْبِنَا
وَأَكْسِرُ فَكَّ شُرْطِي
وَأَخْرُجُ، مِثْلَ طُلَّابِ الْمَدَارِسِ
لِلشُّوَارِعِ،
أَقْلَعُ الْفُضْبَانَ بِالْكَفَّيْنِ
مِنْ ثِقَةِ الْقَطَارَاتِ السَّرِيعَةِ
أَوْقِفُ الْبَاصَاتِ وَالْمِتْرُو
وَأَرْجُمُ مَجْلِسَ الْوُزَرَاءِ
أَرْفَعُ فَوْقَ رَأْسِي
يَافِطَاتِ الْإِحْتِجَاجِ عَلَى زَمَانِي،
ثُمَّ أَجْلِسُ تَحْتَهَا
أَسَدًا كَظِيمِ الْغَيْظِ تَحْتَ غُصُونِ غَابِيْتِهِ
وَأَنْتَحِبُ.

لَيْلَةٌ لَا تُشْبِهُ اللَّيْلَ

يكادُ يُلَامِسُ زَرَّ الْجَرَسِ،
فَإِذَا الْبَابُ،

فِي مَهْلٍ لَا يُصَدِّقُ،
يَأْخُذُ فِي الْإِنْفِرَاجِ،
فَيَدْخُلُ.

يَخْطُو إِلَى بَابِ غُرْفَتِهِ
حَيْثُ صَوَّرَتْهُ بِجَوَارِ السَّرِيرِ الْقَلِيلِ
وَحَيْثُ حَقِيبَتُهُ الْمَدْرَسِيَّةُ
سَاهِرَةٌ فِي الظَّلَامِ.

يَرَى نَفْسَهُ نَائِمًا بَيْنَ حُلَمَيْنِ
أَوْ عُلَمَيْنِ.

يَدُقُّ عَلَى غُرْفِ الْبَيْتِ،
- يُوشِكُ -

لَكِنَّهُ لَا يَدُقُّ،
فَيَسْتَنْقِطُ الْكُلُّ فِي دَهْلِ:
عَادًا! وَاللَّهِ عَادًا!

يَصِيحُونَ،

لَا يَسْمَعُونَ لِصِيحَتِهِمْ

أَيَّ صَوْتٍ!

يَمْدُونَ أذْرَ عُهُمْ لِاخْتِضَانِ «مُحَمَّدٍ»

لَكِنَّهَا لَا تُلَامِسُ أَكْتَأَفَهُ!

وَدَّ لَوْ يَسْأَلُ الْكُلُّ

عَنْ حَالِهِمْ

تَحْتَ قَصْفِ الْمَسَاءِ،

لَمْ يَجِدِ الصَّوْتِ،

قَالُوا كَلَامًا،

وَلَمْ يَجِدُوا الصَّوْتِ!

يَدْنُونَ. وَيَدْنُونَ.

مَرًّا. وَمَرًّا. اسْتَمَرُّوا ظِلَالًا

تَمَرُّ جَلَالَ ظِلَالٍ

وَلَا تَلْتَقِي!

أَرَادُوا السُّؤَالَ إِذَا مَا تَعَنَّتِي

أَيَّبِرْدُ فِي اللَّيْلِ؟

أَمْ أَنْ سُمْكَ الْغِطَاءِ التَّرَابِيِّ

يَكْفِيهِ؟

هل أَخْرَجَ الطَّبُّ مِنْ قَلْبِهِ
طَلْقَةَ الخَوْفِ،
أم أَنَّهُ لم يَزَلْ خَائِفًا؟
ثم هل حَلَّ مسألتي الجِسابِ
لئلا يُخَيِّبَ آمالَ أستاذِهِ في الصَّباحِ
وهل..؟

وهو وَدَّ،
بِكُلِّ بَساطَةٍ،
أن يَقولَ:
أَتَيْتُ «أَطْلُ» عَلَيْكُمْ
لكي أَطْمِئِنَّ، وقلْتُ
أبي سوف يَنْسى، كعادَتِهِ،
حَبَّةَ الضَّغْطِ،
جُنْتُ أَذْكَرُهُ مِثْلما اعْتَدْتُ،
فُلْتُ مِحْدَةَ رَأْسِي هنا
لا هناك..

وقالوا... وقال...

ولا صَوَّتْ !

لا جَرَسُ البابِ رَنًا!
ولا كان زائِرُهُم نائِمًا في
السَّرِيرِ القليلِ
ولا هُم رَأَوْهُ!

وعند الصَّباحِ
تَهامَسَ أَهْلُ الجِوارِ
بأنَّ الرِّوايةَ مَحْضُ خَيالٍ،
فهذي حَقِيبَتُهُ المدرسيَّةُ
مَنْقوبة بالرِّصاصِ،
على حالِها،

ودفاتِرُهُ غَيَّرَتْ لَوْنِها،
والمُعزَّونَ ما فارَقوا أُمَّهُ،
ثم كيف يَعودُ الشَّهيدُ
إلى أَهْلِهِ، هكذا،

ماشياً،

رائِقًا،

تحت قَصْفِ مَساءٍ

طَوِيلٍ؟

إلى أين تذهب في مثل ليل كهذا؟

أَكَادُ أَصِيحُ:

تَعَرَّفَ إِلَى غَيْرِنَا أَيُّهَا الْمَوْتُ

إِبْحَثْ،

عَلَى الْفَوْرِ،

عَمَّنْ يَجُودُ عَلَيْكَ بِمَاوَى

سِوَانَا

وَدَعْ غَيْرَ أَطْفَالِنَا يُمَسِّكُوا بِذِرَاعِكَ

عَبْرَ أَرْحَامِ الطَّرْقِ!

مِنذُ دَهْرٍ نُؤَدِّي لَكَ الْوَاجِبَاتِ

وَنَرَعَاكَ،

نَحْنُ انشَغَلْنَا بِشُغْلِكَ

فَاذْهَبْ!

وَلَكِنْ...

إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ فِي مِثْلِ لَيْلٍ

كَهَذَا

وَمَنْ سَوْفَ يَحْمِيكَ مِنْ عَقْرِ الْبَرْدِ

أَوْ نَظْرَةِ الطَّائِرَاتِ الذَّكِيَّةِ،

وَالخَافِيَاتِ

وَقَنَاصَةِ فِي الزَّوَايَا،

يُصِيبُونَ حَتَّى رَفِيفِ الْفَرَاشِ؟

إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ فِي مِثْلِ لَيْلٍ كَهَذَا؟

تَدْفَقًا وَنَمَّ جِيدًا، أَيُّهَا الْمَوْتُ،

حَتَّى نَوَاصِلَ، أَثْنَاءَ نَوْمِكَ، أَشْغَلْنَا

* * *

أَكَادُ أَصِيحُ:

تَعَرَّفَ إِلَى غَيْرِنَا أَيُّهَا الْمَوْتُ

أَنْتَ تَجَاوَزْتَ كُلَّ سِيَاحٍ

وَطَابَ لَكَ الْمَكْتُ فِينَا.

أَغْلَطْنَا أَنَّنَا كُرْمَاءٌ لَتَأْخُذَ

مَنْ تَنْتَقِي ثُمَّ نُعْطِيكَ مَنْ يَرْتَقِي بِكَ

نَحْوَ السُّمُّورِ الَّذِي تَنْتَهِي،

أَنْ أَنْ تَنْتَهِي مِنْ طُمُوحِ يَدَيْكَ

أَتَّخِذُ غَيْرِنَا سَبَبًا تَرْتَجِيهِ إِلَى

الْكَرِّ وَالْفَرِّ يَا سَيِّدَ الْبَرِّ

كَيْفَ تُفَاخِرُ بِاللُّتْغِ صَيِّدًا

أَكَادُ أَصِيحُ:

أَتَّخِذُ غَيْرَنَا صَاحِبًا

ثُمَّ يُسَكِّنُنِي أَنَا سَوْفَ نَحْزَنُ أَيْضًا

إِذَا مَا قَصَفْتِ مِنَ الْحَقْلِ عَوْدًا

جَدِيدًا

إِذَا مَا حَطَّفْتَ مِنَ الْبَرِّ ظَنِيًّا

وَلِيدًا

إِذَا مَا كَسَرْتَ عَلَى النَّائِمِينَ الرَّجَاحَ.

سَنَحْزَنُ لَوْ رُحْتَ عَنَّا إِلَى جَارَةٍ

تَعْزَلُ الصُّوفَ فِي ضَوْءِ مِصْبَاحِهَا

أَوْ نَزَلْتَ بَعَائِلَةٍ خَاصَمَتْنَا

بِلا سَبَبٍ.

أَوْ إِذَا وَقَعَتْ قِطْعَةٌ فِي يَدَيْكَ

وَلَمْ يَسْتَمِعْ أَحَدٌ لِاسْتِعَاثَتِهَا.

سَنَحْزَنُ لَوْ صِرْتَ

عَاصِفَةً تَضْرِبُ الْمُبْجِرِينَ إِلَى

الْيَابِسَاتِ الْبَعِيدَةِ،

أَوْ صِرْتَ غَوْلَ الْخِرَافَةِ تَخْطِفُ

شُطْرَاهَا.

أَيُّهَا الْإِضْطِرَارُ غَدَوْتَ اخْتِيَارًا

لِطِفْلِ يَفُوقُ يَدَيْكَ نَشَاطًا

وَيَرْكُضُ فِي مِخْلَبَيْكَ

كَمَا تَرْكُضُ السَّمَكَاتُ إِلَى الطُّغْمِ

هَلْ ظَنَّ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي سَوْفَ تَهْرَبُ

مِنْ نَظَرَتِهِ؟!

هُوَ الْآنَ يَسْحَرُ مِنْ قُوَّةِ الْقَتْلِ فِيكَ

وَهَا أَنْتَ تَسْحَرُ مِنْ قُوَّتِهِ،

هَلْ تُرِيدُ بِلَادًا عَلَ الْمَقْعَدِ الْمُتَحَرِّكِ

حَيْثُ الْوَقَارُ الْكَسِيحُ

وَحَيْثُ ارْتِقَاءُ السَّلَالِمِ، فِي الْحَلْمِ،

مُعْجَزَةٌ؟

هَلْ تُرِيدُ بِلَادًا بِلَا صَبِيئَةٍ؟

وَبِلَا كَذِبِ ضَاحِكٍ

أَوْ خَطَايَا مَلُونَةٍ بَارْتِبَاكِ بَرِيءٍ

وَتَأْتَاةِ عَذْبَةٍ عِنْدَ حِفْظِ (قَفَا نَبِكِ)

أَوْ (جَاوَزِ الظَّالِمُونَ الْمَدَى)

أَوْ (قِصَارِ السُّورِ)؟

* * *

تُرِيدُ الْبِلَادَ بِأَطْفَالِهَا.
يَسْرِقُونَ الْمُرَبِّيَ مِنَ الرَّفِّ،
يَسْتَفْسِرُونَ مِنَ الْأَمَّهَاتِ الصَّغِيرَاتِ:
كَيْفَ خُلِقْنَا؟
وَتَحَمَّرُ وَجَنَاتُهُنَّ،
فَيَسْتَسْخِفُونَ الْجَوَابَ الْمُفَقَّ،
يَأْوُونَ لِلنَّوْمِ كُرْهًا
وَيَسْتَيْقِظُونَ كُسَالَى،
يُلْحُونَ كَالنَّحْلِ،
لَا يَسْتَجِيبُونَ لِلنَّصِيحِ،
يُفْلِقْنَا لَهُوَهُمْ بَعْدَ مِتْرَيْنِ مِنْ بَابِنَا،
يَحْفَظُونَ الْأَنْشِيدَ لِلْإِمْتِحَانِ
وَيُنَسِّوْنَهَا فِي الْإِجَازَةِ،
لَا يَعْرِفُونَ إِلَى أَيِّ حَدٍّ تَسَاعِدُنَا
عَمَزَاتُ حُدُودِهِمُ اللَّيِّنَاتِ
إِذَا عَبَسَتْ آلِهَاتُ الْقَدْرِ.
فَاخْتَصِرْ!
يَا أَمِيرَ الْحَصَادِ اخْتَصِرْ!

* * *

أَمَّا فَاضِلٌ مُوسِمُكَ الْمُرُّ عَنْ حَاجَتِكَ؟
إِحْسِرَ الشُّوْطَ حِينًا
نَرَدَّدُ
وَكُنْ زَاهِدًا فِي الْغِلَالِ
تَأْمَلْ وَلَوْ مَرَّةً
كَيْفَ أَصْبَحَ دُعْرُ الْفَتَى مِنْكَ
رَكْحَصًا إِلَيْكَ!
أَيُّهَا
الْمُتَّخِمُ
الْمُرْتَوِي
الْمُسْتَرِيحُ
الْمُطَاعُ
الْمُذِلُّ
الْمُهَيْبُ
الْمُهَابُ
الْمُهَيِّمُ:
أَخْبِرْهُ أَنْ نَوَايَاكَ بِالْقَتْلِ صَادِقَةٌ،

قل له أن يعود
إلى دُميَّة الدُّبِّ أو دفتر الدَّرْسِ،
أخبره أنك خاتمة الأمر لا مُبتدأه،
وأن النجاة مؤقتة إن نجا،
ثمَّ خَوْفُه، مقدار ما تستطيع،
ليهرب منك،
كُن الوغد، زين له ذلُّه، لا عَلَيْكَ
لا تُرْخِرْ له مِقْبَضَ الحُلْمِ
سَقِّه له وردة الإنتصارِ
وقمَح الكرامةِ
سَقِّه شجاعتَه واندفاعتَه
والحنينِ لِحُرِّيَّةِ
لا يراها سوى في يَدَيْكَ.
حاولت؟ حاولت يا مَوْت؟
حاول مرارًا
وحاول مرارًا
وحاول
وأفْنَعُه
وَجِّه له صَفْعَتَيْنِ على خَدِّه،
أعدّه إلى أمه
وهي في قرفصاء العَجِينِ.
كُن غليظًا وفظًا لنُقْصِيه عنكَ
وكُن أيَّ شيءٍ
ولا تترَفِّقْ به يا طويلَ الدِّراعِ
فتأخُذُه
بالحنانِ
إليكَ!

* * *

قل له: إنَّ للقدِّسِ ربًّا
وللطفِ دُبًّا
ولا تَبْدُ أرْحَمَ ممَّا نَعَوَّدَ قلبي،
ولا تَبْدُ مثلَ الملاكِ المُهْدَبِ
كن صالحًا للشجارِ ورُدَّ السبابِ
ولا تَبْدُ كالزُّوجِ
يَخُنُّ بالحبِّ والإعتناءِ الحقيقيِّ
زوجتَه النافرةِ
أتعشُّفنا؟

لا تكن عاشقًا لاصقًا بالحببية
كالخزرون على الجذع
فالحُبُّ، أيضًا، يُجِبُّ الغياب

* * *

لا تكن جرسًا
قارعًا في المنام
ولا حرسًا
في وجوب الكلام
لا تكن عزًّا لا شائعا
لا تكن طامعًا أن تُغيّرَ إسمًا وثوبًا
فتبدو سواك
لا تُنقِطُ شرارشفَ تَخْتَكِ
من زهرنا،
أسقطِ الطيرَ من مخالبك
إلى سربه،
ليرى أيَّ معجزةٍ
في جناحيه

* * *

رُبَّ زمانٍ
سيحملنا ذات يومٍ
بمنقاره
نحو أعياد ميلادنا.
من سيدريك أنا - إذا الحظُّ أنصفنا -
قد نَعَمُّرُ للأربعينَ
وحوضٌ من النعنع المُنْتَعَمِ بالشمسِ
في بابنا؟

* * *

ربما لو ذهبت سنكتب شعرا عن
الإنس والجن والجنس
والشبق الصلب
نعشى الملاهي
ونسكب شاي المقاهي
بطيش أصابعنا
حول طاولة النرد
والنرد
يلهب جمر المعارك فينا
فنغتل خصمًا قويًا

بِرَمِيَّتِنَا الْحَاسِمَةَ

* * *

أَكَادُ أَنَاشِدُكَ الْإِبْتِعَادَ
وَلَكِنِ إِلَى أَيْنَ
يَا مَنْ صِفَاتُكَ تَمْشِي مَعَكَ؟

* * *

هَلِ الْفَنَّاكَ؟

* * *

هَلِ لَا طَرِيقَ لِنَبْعَدَ عَنْكَ سِوَى
الْإِقْتِرَابِ الْجَنُونِيِّ
مِنْكَ؟

* * *

أَأَنْتِ الطَّرِيقُ
أَمْ أَنْتِ قَاطِعُ هَذَا الطَّرِيقِ؟

* * *

أَتَمْشِي الْجَنَازَةَ فِينَا؟
أَمْ أَنَا نَسِيرُ
وَنَبْحَثُ، مِنْ حَوْلِنَا، عَنْكَ فِيهَا؟
نَرَى النِّعَشَ وَالسَّائِرِينَ
وَيَا مَوْتُ
لَسْنَا نَرَاكَ!
فَفِي أَيِّ زَاوِيَةٍ تَخْتْفِي
حِينَذَاكَ؟

أَتُدْخِلُ نَفْسَكَ فِي الْكَفَنِ الْمَتَمَايِلِ
بَيْنَ الْأَكْفِ وَصَمْتِ السَّمَاوَاتِ؟
أَيْنَ الشَّهِيدِ إِذَا؟
هَلِ مَشَى مَعَنَا
فَاتِحًا زَرْقًا يَأْتِيهِ لِلنَّسِيمِ
يُدْجِنُ سِيَجَارَةً
وَيَحَاوِلُ فَهْمَ النَّهَائِيَاتِ؟

* * *

مَنْ مِنْكُمْ سَوْفَ يَدْخُلُ
فِي حَفْرَةِ الْقَبْرِ؟
أَنْتِ
أَمْ الْجَسَدُ السُّخْنُ؟
هَلِ أَنْتِ لَا شَيْءٍ؟
أَوْ كُلُّ شَيْءٍ؟

كهذا الهواء المُحيطِ بِمَوْكِبِنَا
أو بكوكبِنَا؟
كيف تبدو الجنازة صاخبةً
من يُلَوِّنُ أعلامَهَا؟
من يُكَوِّنُ أجسامَهَا؟
من يُلَبِّدُ غيمَاتَهَا؟
من يَجْرُ الحَيَاةَ كَثُورَ الصِراعِ القَتِيلِ
على الرملِ
بين الهلاهِ والورودِ
والقَبَعَاتِ
ومن ينتهي الآن من شُغْلِهِ؟
نحن أم أنت؟
ماذا سنفعل بَعْدُ؟
وماذا سنفعل بَعْدُ؟
ونحن هنا آخِرُ الواقِفِينَ
أمامَ الرجاءِ
كأنَّا مَرَايا أمامَ العُرُوسِ
وإن أغمضتْ عينيها،
تُنكسرُ.
فاختَصِرْ

* * *

سوف أدعو إلى البُحْلِ بالمَوْتِ يا مَوْتُ
حتَّى إذا جُنَّتْ عطشانَ
تلقى الذي سوف يسقيكَ،
بردانَ، يعطيك نارًا،
عليلاً، يُداويكَ،
مُلقَى على جانبِ
في رصيفِ البَطَالَةِ، يعطيكِ
شغلاً بسيطاً،
حزيناً، يواسيكِ،
تنزفُ، يعطيكِ منه دمًا راضيًا،
فاختَصِرْ
يا أميرَ البراري تَقَشَّفْ
قليلٌ من الصيدِ يكفيكَ:
إنَّ الأيائلَ، لو كانَ أهلي أيائلَ، تَلْقَى
دُعاةً لإنقاذِها من يدِ الإنقراضِ

* * *

ونحن هنا آخر الواقفين
على حافة الأرض
حيث متانة سيقاننا تحفظ الأرض لا الآلهة

* * *

سَقَطْتُ خِصْلَةَ الصَّبْرِ فَوْقَ الْجَبِينِ
وَعَطَّتْ عَيُونَ الْأِدْلَاءِ
مَسَّتْ خِصَالِ الْجَمَالِ الْمُحَبَّبِ فِينَا،
سنطلب من «نيتشة» العذر:
«فالهوّة» الآن
«سوف تُحَدِّقُ فيمنُ يُحَدِّقُ فيها»
فهل يتبدّد فينا الذي تُهدّمُ الروحَ
كي نستردّه؟
سنبدو فُساةً لمن لا يرانا
ونبدو جُناةً
وتبدو البدايَةُ مُفَعَّدةً فوق كُرْسِيِّهَا،
لا تَصِلُ.
وأنت تَنزَلْتِ في بيتنا
وتعلّمتِ أولى الخُطى وحُرُوفَ الكلامِ
وأوغلتِ في الثَّرَثرةِ.
أيها الموتُ
أسكُتِ قليلاً
لنحكي حكايتنا للضيوفِ.
وارتحل!
كي نموت من الحبِّ يوماً
وسامحْ بفخّارة العُمرِ
يا مَنْ تُكسِرُها لاهياً
مثل نِمْرٍ
يُكسِرُ عَظْمَ الغَزَالَةِ تحت الشجرِ.
واختصر

* * *

نامتِ الطيرُ في قَشِّهَا،
والرضيعُ على كَرَمِ التّدي،
والبرتقالةُ في عِطْرِهَا،
والعواصفُ
نامتُ على قِنَبِ الأشرعةِ،
والبطاريقُ
في ملتقى الماءِ والرملِ

نامت
ونحن هنا آخر الواقفين.
نامَ وَشَمَّ الْخِلاَسِيَّةِ الْوَجْهَ
فُزِبَ ابْتِسامَتِها
راضياً،
نامَ تَلْجُ الشِّمالِ،
ونامت فُهودُ السافانا،
وكأسُ الموهيتو
وأيلُ الكاليسو،
ونامت حقولُ الأرزِ على
مائها الآسيويِّ،
ونامت طبولُ القبائل
عند الأفاصي.
ونام الهنودُ
على القصص الباكياتِ.
وبين مناديلهم والكمنجاتِ
نام العَجْرُ.
ونامت بنادقُ كلِّ اللُّغاتِ
ونحن هنا آخر الواقفينِ اختَصِرُ
يا أميرَ الحصادِ اختَصِرُ
وانتَصِرُ مرَّةً ضد شهوتك
المُرِ عِبَةَ
نحن سطرٌ أخيرُ
على صفحةِ الدَّهرِ
هل جئتَ تمحوهُ أم جئتَ
كي تَكْتُبَهُ؟

* * *

تريد الظلال بزيتونها
عالياً،
لا مُسَجِّي على الحَقْلِ
من عهد روما
إلى نابِ جَرّافَةِ
باركُتْها الحُرّافَةُ.
إن الحُرّافَةَ تحتاجُ أنيابها
كي تعيشَ
وتحتاجُ صيدك

* * *

طَفَّ بِالتَّلَاعِ البَعِيدَةِ،
لَمَلِمَ مَلَقَاتِهَا
مِنذَ عَهْدِ المُلُوكِ القُدَامِي
وَسِيفِ القُضَاةِ
وَأَعْطَى «لِبِوشَع» حَاسِبَكَ المُتَقَدِّمَ
حَتَّى يُدَقِّقَ تَصَوِّبَ تَوَارِيهِ
نَحْوَ قُمَصَانَا
أَعْطَى «رَاحِب» مَوْزَ أَرِيحَا،
وَأَعْطَى المُقَدَّسَ
هَذَا المُسَدَّسَ،
حَتَّى يَصُبَّ مَعَا
وَابِلًا مِنْ صِفَاتِكَ فِي
صَدْرِ طَالِبَةِ الثَّانَوِيَّةِ
أَوْ ظَهْرِهَا
كَدِّبِ الشُّعْرَاءِ الذِّينَ
يَحْتَوِنَا أَنْ نُحِبَّكَ
مِنْ أَجْلِ وَعْدٍ
وَكَيفَ يُصَدِّقُ قَتْلَاكَ
وَ عَدُّكَ؟

* * *

أَأَنْتَ البَدَايَةُ يَا سَيِّدِي؟
أَمْ تُرَاكُ الخِتَامُ
وَلَا شَيْءَ بَعْدَكَ؟

* * *

نُرِيدُ البُيُوتَ بَجَدَاتِهَا الجَالِسَاتِ
عَلَى عَتَبَاتِكَ
يُكْمِلُنَ كَنْزَاتِنَا
تَحْتَ ضَوْءِ تَلَاشِي،
يُرَدُّنَا لَنَا أَنْ نُحِيطَ بِهِنَّ
مَدَى العُمُرِ
مِثْلَ النُّوَارِسِ
حَوْلَ السَّفِينَةِ.
يُنْكَرُنَ أَلْفَاظُنَا الفَاحِشَاتِ
يُكْرِرُنَ نَفْسَ الحِكَايَةِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ،
وَيُنْسِينَ.
يُغْمِضُنَ فَوْقَ الكِرَاسِي

وَيُنْكَرَنَّ هَذَا،
كَأَنَّ النَّعَاسَ يَعْيبُ الْبَشَرَ
فَاخْتَصِرْ!

* * *

نُرِيدُ الْبِلَادَ بِأَبَائِنَا
وَبِأُمَّاتِنَا
الَّذِينَ يَعْذُونَنا كُلَّ يَوْمٍ
لِكي يَطْمَئِنُّوا
إِلَى أَنَّنَا لَمْ نَمُتْ فَيَصِيرُوا
يَتَامَى
تَوْسَلُ لَهُمْ أَنْ يَخَافُوكَ أَكْثَرَ
هَيَّئِ لَهُمْ سَاعَةً لِلْعِنَاقِ
وَأَوْلَادُهُمْ، وَاحِدًا وَاحِدًا،
نَائِمُونَ بِحُجْرَاتِهِمْ،
لَا وَرَاءَ زَجَاجِ الصُّورِ

* * *

نُرِيدُ الْبِلَادَ بِأَمْوَاتِهَا
هَادئِينَ،
فَلَا تَكْسِرِ السُّورَ
حَوْلَ الْمَقَابِرِ،
لَا تَكْسِرِ السُّرُورَ
بَيْنَ شَوَاهِدِهِمْ،
لَا تُوجِّهْ دَوْبًا
لِتَقْلِبَ قُوسَ التُّرَابِ عَلَيْهِمْ،
فَنَقَطْنَا لَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
اخْتَصِرْ

* * *

لَا تُرِيدُكَ مَوْتَيْنِ بِلٍ وَاحِدًا
لَا تُرِيدُ حَيَاتَيْنِ بِلٍ وَاحِدَةً

* * *

أَكَادُ أَصِيحُ:
تَعَرَّفْ إِلَى غَيْرِنَا أَيُّهَا الْمَوْتُ
لَكِنَّ
إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ فِي مِثْلِ لَيْلٍ
كَهَذَا!
تَدْفَأُ وَنَمَّ جَيِّدًا،
ثُمَّ وَاصِلًا، مَعَ الْفَجْرِ، شُعْلَكَ،

حَتَّى نُوَصِّلَ، بَعْدَ رَجِيلِكَ،
أَشْغَالَنَا

٢٠٠٠-١٢-١

صَلَاةٌ إِلَى «زَيْوس»

كَانَ زَمَانًا فَجًّا
لَا تُفْنِعُهُ إِشَارَةُ الْقَلْبِ،
يُطَالِبُ بِإِفْصَاحِ أَنْفَقَةِ التَّكْرَارِ،
كَأَنَّ الحُبَّ حُطْبَةٌ
والخصومةَ إِسْمٍ آخَرَ لِإِفْتَاكِ.
كَانَ زَمَانًا لِرِضَا الجَمَاعَاتِ،
وَعَضَبِ الجَمَاعَاتِ.
لَا مَبَاهِجَ لِلجَسَدِ
سِوَى مَا يُخْفِي مِنَ أَسْرَارِ.
كَانَ زَمَانًا بِنَائِهِ حَزِينَاتٌ،
أَحَدْنَهُنَّ القَوَافِلُ
إِلَى حَيْثُ تَذَهَبُ القَوَافِلُ،
وَكَمَا يَخْلَعُ الحَرِيصُ نَعْلِيهِ،
يَتْرِكُ السَّيِّدُ اسْمَ امْرَأَتِهِ
عِنْدَ العَتَبَةِ،
وَيَطَالِبُ
كَانَ زَمَانًا يَفْتَنُ بِدِهَانِ البَرَاهِينِ،
وَمَسَاحِيْقِ الأَدِلَّةِ.
وَلَا يَسْمَحُ بِالأَخْطَاءِ البَدِيعَةِ.
كَأَنَّ الأَجْنَحَةَ أَوْتَادُ.
وَالعُفْرَانَ إِهَانَةً.
كُنَّا نَسْمَعُ الصَّوْتِ
حِينَ يَحْزُرُ المَنْجَلُ القَاصِرِ
كَفَّ المَوْزُ،
وَيُلْقِي بِهِ فِي بُرُودَةِ المِيزَانِ.
لَا نَعِي رَجَفَتَنَا
حِينَ نَنْفَصِلُ عَنِ الحَاقَةِ
وَنَقِيسُ الهَاوِيَةَ بِأَجْفَانِ
مُسَدَّلَةٍ.
كَانَ زَمَانًا لِلقُمُصَانِ
المَنْقُوبَةِ مِنَ الأَمَامِ،
بِلا حَوْفِ.
وَالقَمُصَانِ المَنْقُوبَةِ مِنَ الخَلْفِ،
بِلا إِندَارِ.
كَانَتْ الجَنَازَاتُ مَأْلُوفَةً

كاعوجاج القوس،
وأفتة الغزالة.
يومنا شرفة رحوة.
وعدنا
معلق
كالكليل
النوم،
على مسمار مائل.

* * *

يا كبير الآلهة!
لا تقل إنك هيأت لنا هذا الكمين!
يا محاطاً بحرير الآلهات،
ورنين العطر في أذائهن،
وخصور كالهالات التي،
في لمحّة،
تسقط صيداً في مسانك.
ينعس الظهر ويصحو الليل، ليلياً،
بأمرك.
أنت يا من كفه كأس الذهب
حكّم المشهد،
وهاب الصفات
مُنقذ الفلك من الدوامة العظمى
وتدبير الصغار
أيها المرجع «عوليس» إلى سيّدة النول،
ويا من
ترجع السيف إلى كفّ المحارب،
كلما أسقطه أعداؤه،
أنت يا سيّد هذي الدهشة الكبرى
ونساج المصائر:
هل رداؤك
ذلك الضخم الذي
يعمر هذا السّفح كلّهُ،
خيّط من أكفاننا
أم أنّها أكفاننا
فدّت من الثوب المقدّس؟
أيها الأدرى بحسن الكون منّا
هل توهمت بأننا لا نخاف

عندما يعلو الهسيسُ المرُّ
في أرواحنا
ويَفُكُّ القَتْلُ أزرارَ القميصِ؟
أيها العارفُ كُهانَ أثينا
أنت من حكمتهم عُمَرَيْنِ فينا
أنت تلخِصُ السُّلالاتِ
التي تَشْكُو ومنها يُشْتَكَى.
أنت نحنُ.
نحن أنتُ.
نحن خَوْفُ الآخَرِينِ.
مثلما هم خوفنا
حيث المُطارِدُ،
يلهتُ الشوْطُ تمامًا
كالطَّرِيدِ.

أيها المسخُورُ عُصفورًا
على رُكْبَةِ «هيرا» علها تحنو عليك
نحن لا جَوْقَةَ بالأشعار ترثينا
ولا كاهِنَ يأتينا بِسِرِّ من أثينا
أَنْ أَنْ تَرْفَعَ عَيْنَيْكَ
عن اللُّوحِ قَلِيلًا
إِزْفَعِ الرِّيشَةَ
بالبطءِ الإلهيِّ المُهابِ
إِزْفَعِ الرِّيشَةَ
وَابْعَثْ رَبَّةَ النَّوْمِ
إلى مصباحِ «هومر»
يا كَبِيرَ الآلهةِ
فاضتِ القِصَّةُ عن حَجْمِ الكِتَابِ

* * *

كان زَمَانُنا جَبِيرَةً مُتَقَنَةً
على كَسْرِ لم يُعالِجَهُ أَحَدٌ.
مُهندسُ الأرواحِ
يُمسِكُ مِسْطَرَةً مَشْفُوفَةً.
البستانيُّ،
ذو القَبَعَةِ البيضاءِ
يَحْصُدُنا
ويتركُ الشَّعِيرَ والشَّمَنْدَرَ
في الحقولِ.

التراب صار خيالاً
والخيال
يمشي حافياً في الشوارع
يتدبّر مصيره، نجاةً أو موتاً
دون أن ينحني الصفصاف.
توحّش الرّمز.
صار له فكٌّ غامقٌ.
الأوطان، غيرَ مكثّفةٍ بالأغاني،
أقترضتْ فِكْرَةَ الذّنبِ
وشمّيمَ القَرابينِ.
الخوفُ قويُّ البنيةِ
الشجاعةُ ترتجفُ.
والهَةُ العَدْلُ،
وضعتْ في ميزانها
قِطْعَةَ سِلاحِ
الأُمَّهاتِ لا يُدرِكنَ معنى الفَقْدِ
إِلّا عندما يتوغَّلُ اللَّيْلُ،
ويختفي الكَهْنَةُ.
والتي ظلَّتْ تحملَ الطعامَ
كلَّ أربعاَ
لرُوجِها السجّينِ
لم تكن تَدْرِي أنّ أبناءَها،
منذُ عِشرينَ أربعاَ،
يتامى
وأنها، منذُ عِشرينَ أربعاَ،
أرْمَلَةٌ

* * *

يا كبيرَ الآلهةِ
«أنتَ يا ساكِبَ هذي الرُّزْقَةِ العُظمى
ستاراً بَيْننا كي لا نراكِ» (**)
هل ترانا؟
أنزلِ الواقعَ، هذا الواقعَ الأرضيَّ، مِن
أعلى الخيالاتِ إلى
جُحْرِ الأساطيرِ القديمةِ
أنزلِ النُّنْزَ الذي نَحيا
إلى قاعِ النشيدِ
وحُدِّ الطِّينِ الذي

تَمْشِي عَلَيْهِ الْآنَ أَقْدَامُ ضَحَايَانَا
إِلَى أَعْلَى دُرَاكٍ
أَعْطِنَا حَقَّ اقْتِرَافِ الْجُبْنِ
كِي نَبْرًا مِنْ دَاءِ الشَّجَاعَةِ
أَعْطِنَا حَقَّ التَّنَاوُبِ،
أَعْطِنَا مِنْ بَيْنِ أَسْبَابِكَ أَوْهَى سَبَبٍ
حَتَّى نَعِيشَ
لَا مُبَالِينَ، كُسَالِي،
نَنْسَاهِي عَنْ مَرَايَانَا قَلِيلًا
أَعْطِنَا مِنْ بَيْنِ أَسْبَابِكَ أَبْهَى سَبَبٍ
حَتَّى نَمُوتَ
فِي سَبِيلِ امْرَأَةٍ
لَا قَنْطَرَةَ،
فِي قَرْيَةٍ لَمْ يَنْزُكُوهَا
لَا حَتِكَائِكَ الْمَاعِزِ الْحِسِيِّ بِالْحَائِطِ
أَوْ مِنْ أَجْلِ جَرَّةٍ
رَشَحَتْ سِرًّا
وَمَالَتْ نِصْفَ شِبْرِ
وَاسْتَقَامَتْ
فَوْقَ رَأْسِ الْأَرْمَلَةِ.
يَا كَبِيرَ الْأَلْهَةِ
مَا لِ «هَيْلِينَ» اخْتَرَعْنَا الْحَرْبَ
بَلْ لِلْبَصْلِ الْأَخْضَرِ وَالنُّومِ
وَاللُّنُومِ الَّذِي فِي مَهْدِهِ
حَرَقَتْهُ رَبَّةُ النَّارِ السَّعِيدَةِ.
مَا لِ «هَيْلِينَ» وَلَا قُبُلَتِهَا
حَيْثُ الْخُلُودُ الْمُشْتَهَى
مَا لِتَنَاجِ الدَّهَبِ الْمَجْدُولِ كَالْغَارِ
عَلَى غُرَّتِهَا
مَا لِخَدَّيْهَا الْخُرَافِيِّينَ
لَكِنْ:
لِخُدُودِ الْأَصْفُوهَا بِالْبِلَاطِ الْأَمْلَسِ
الْمَرْصُوفِ مِنْ عَهْدِ نَعَاسِ الْوَقْتِ
تَحْتَ الشَّجَرَةِ.
وَمَخْدَاتِ أَصِيبَتِ وَهِيَ تَحْلُمُ،
وَشُرُودِ لَمْ يَدَعْنَا،
وَبِيوتِ لَمْ تَسْعُنَا.

نحن أَلْمَنَّا بَعْضَنَا حَتَّى تَعْبِنَا
وَدَقْنَا بَعْضَنَا حَتَّى حَجَلْنَا
كَذَبَ العَرَافُ فِي «دَلْفِي» عَلَيْنَا،
وَعَلَيْكَ.
فَتَدخَلْ مِثْلَمَا اعْتَدْتَ
لئَلَّا يَتَدَلَّى البُومُ مِن سَفْفِ النَّهْيَةِ.

* * *

يا كبير الألهة
مُرْسِلَ الهَزَاتِ فِي الوادي
وَمَن يَمحو عِبَادًا بِعِبَادٍ:
ثَبَّتِ السَّفْحَ قَلِيلًا
رَيْثَمَا نَصَعُدُ بِالمَظْلَمَةِ الكُبْرَى إِلَيْكَ
رَيْثَمَا نَرْفَعُ هَذِي الصَّخْرَةَ العُظْمَى
إِلَى حَيْثُ تُرِيدُ
يا كبير الألهة:
ثَبَّتِ السَّفْحَ قَلِيلًا
لَا تُعْذِنَا لِحَصَى القاعِ وَحُدْنَا
كِي نَلُومَكَ

* * *

يا كبير الألهة
لِمَ لَا تَجْعَلُنَا أُسْطُورَةَ أُخْرَى
يَمُوتُ النَّاسُ فِيهَا بُرْهَةً
ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى أَوْلَادِهِمْ بَعْدَ
انْتِهَاءِ المَسْرَحِيَّةِ
لِمَ لَا تَجْعَلُنَا أُسْطُورَةَ
لَا يَفْقَدُ الأعمى بِهَا عَيْنِيهِ
إِلَّا سَاعَتَيْنِ
وَجِصَارُ المَدْنِ المُنْتَقِنُ
يُنْهَارُ تَمَامًا
عند إِسْدَالِ السِّتَارِ
وَيَدُومُ الرُّعْبُ فِيْنَا
لَيْلَةً
ثُمَّ يُضَاءُ المَسْرَحُ الباذِخُ
بِالنُّورِ العَظِيمِ!
لِمَ لَا تَجْعَلُنَا أُسْطُورَةَ
تُخْبِرُنَا الجَوْفَةَ فِيهَا
كَيْفَ مَاتَ الطُّفْلُ

لكن
لا نرى الطفل بعينينا يموت.
لم لا تجعلنا
أسطورةً خنجرها يرتد في مقبضه
الفارغ
والنزف صباغٌ مُنقنٌ جدًّا
وكلُّ القتلِ
إنجاحٌ لموسيقى القوافي
واحتفالٌ للأثنيي المدلل.
ضغ بحار التيه في دفنك الضخم
وشرد أي بحار كما شئت
وأرجعه مع الفصل الأخير.
أنكث الصوف الخرافي كما تهوى
ودع سيده الصبرين تبك الدهر
لكن

تحت سقف لا يطير
أعطها ما يأخذ الخاسر:
برقًا أملًا
أو أعطها ياسًا طويل العمر
كي تحيا طويلًا
أحضر العراف من أقبية الغيب
ليلقي بنبوءات جديدة،
أظهر الجاني
وفي كفيه بزهان دماء من ضحاياهُ
ودع جمهوره ينثي على تمثيله القذ
ويرميه بزهره.
إجعل المأساة سهرة
إجعل الإعصار ألوانًا على الخيش،
وأصواتًا
على إبهامها تعرق أفواه،
فنبكيها
وتطفو كي نحبيها
ولم تبتل في الطوفان
لحظة،
والحرائق،
لوحه في جانب المسرح
فدت من جهنم.

وهي لا تحرق أبطالك
إلا في الخيال،
دع إله الحرب ينس الررد الرهقان
في مخزنيه
بين كواليس الجحيم،
وأطل دور المهرج،
إن في القاعة أطفالاً
فدعهم يضحكوا يوماً
على غير الجنود
وعلى ذاك الحصار
الخشيء!
وعلى ذاك الحصان
الخشيء!
يا كبير الآلهة
كل طرودة ملهأة
إذا قيست بيوم واحد في أورشليم
كانون الثاني، يناير - ٢٠٠١

(**) السطر بين مزدوجين للشاعر اليوناني المعاصر أوديسيوس إيليتس.

الناس في ليهم
بيروت ١٩٩٩

في جسدي حربٌ أهليّة:
أسئلتني،
تتقدّم، وتهاجم.
وإجاباتي،
تتساقطُ فنّلي.

إِتْقَان

اِحْتَفَظُوا بِالْوَانِيهَا،
بَبِيضَاءِ، خَضْرَاءِ،
رَزْقَاءِ، صَفْرَاءِ،
تَمَامًا كَمَا نَعْرِفُهَا.
مِنْ أَجْلِهَا
لَمْ يَنْسُوا طِلَاءَ السَّقْفِ بِالْغَيْومِ،
وَبِرُزْقَةٍ
تَتَغَامَقُ، مِنَ الْخَفِيفِ الْفَاتِنِ،
إِلَى الْكُحْلِيِّ الْفَاتِنِ،
رَكَّبُوا سَمَاءَ
تُوهُمُ أَنَّهَا السَّمَاءُ.
اِحْتَفَظُوا بِأَجْسَامِهَا
بِأَحْجَامِهَا
وَلِعْيُونِهَا
بِالْبَرِيقِ ذَاتِهِ.
وَمَنْ أَجَلَ الصَّدَقِ الْبَرِيِّ
وَرَّعُوهَا عَلَى أَرْفَفِ ذَكِيَّةٍ، مُرْتَجَلَةٍ
كَأَفْرُعِ الْأَشْجَارِ.
اِحْتَفَظُوا بِالْمُلَمَسِ السَّمْحِ لِلرِّيشِ،
بِانْفِرَادَةِ الْأَذْيَالِ،
بِدَوَائِرِ الْأَطْوَاقِ،
بِالْأَجْنِحَةِ
الْمَوْشِكَةِ عَلَى الرَّفِيفِ،
بَلَمَعَانِ الْمُنَاقِيرِ
الْمَوْشِكَةِ عَلَى الْإِنْفِرَاجِ،
لَكِنَّ الْغِنَاءَ الْوَحِيدَ
فِي دُكَّانِ الْعَصَافِيرِ الْمُحَنَّنَةِ
كَانَ
يَنْبَعُثُ
مِنْ
الْإِذَاعَةِ.

نيسان/إبريل ١٩٩٦

رِحْلَةٌ عَادِيَّةٌ

لَمْ أُصَادِفْ أَيَّ هَوْلٍ.
لَمْ أَرَ التَّيِّبِينَ فِي الْبَرِّ
وَلَا السَّيِّكُلُوبَ فِي الْبَحْرِ
وَلَا الْغَوْلَةَ وَالشَّرْطِيَّ
فِي مَدْخَلِ يَوْمِي.
لَمْ يُبَاغِتْ شَهْوَتِي الْقُرْصَانُ
لَمْ يَكْسِرْ لَصُوصُ
بَابَ عُمْرِي
لَمْ يَطُلْ عَنْكُمْ رَحِيلِي
غَيْرَ عُمْرٍ وَاحِدٍ.
كَيْفَ أَبْصَرْتُمْ عَلَى وَجْهِي
نُدُوبًا؟

وَعَلَى عَيْنِي
حُزْنًا؟

وَرُضُوضًا فِي مَزَاجِي وَعِظَامِي؟

كُلُّهُ وَهْمٌ. فَإِنِّي

لَمْ أُصَادِفْ أَيَّ هَوْلٍ.

كُلُّ شَيْءٍ كَانَ عَادِيًّا تَمَامًا،

إِطْمَئِنُّوا:

إِبْنُكُمْ مَا زَالَ فِي الْقَبْرِ، قَتِيلًا، وَبَحِيرَ

إبريل/ نيسان ١٩٩٦

لا بَأْسَ

لا بَأْسَ أَنْ نَمُوتَ فِي فِرَاشِنَا.

عَلَى مَخَدَّةٍ نَظِيفَةٍ

وَبَيْنَ أَصْدِقَائِنَا.

لا بَأْسَ أَنْ نَمُوتَ مَرَّةً

وَنَعْفِدَ اليَدَيْنِ فَوْقَ الصَّدْرِ

لَيْسَ فِيهِمَا سِوَى

الشُّحُوبِ

لا خُدُوشَ فِيهِمَا،

ولا قُبُودَ.

لا رَايَةَ

ولا عَرِيضَةَ احتِجَاجٍ.

لا بَأْسَ أَنْ نَمُوتَ مِيتَةً بلا غُبَارٍ

وَلَيْسَ فِي قُمْصَانِنَا

ثُقُوبٌ.

وَلَيْسَ فِي ضُلُوعِنَا

أَدَلَّةٌ.

لا بَأْسَ أَنْ نَمُوتَ وَالْمَخَدَّةُ البِيضَاءُ،

لا الرِّصِيفُ،

تَحْتَ حَدَّنَا.

وَكَفْنَا فِي كَفِّ مَنْ نُحِبُّ،

يُحِيطُنَا يَأْسُ الطَّبِيبِ وَالْمُمَرِّضَاتِ،

وما لَنَا سِوَى

رَشَاقَةِ الوَدَاعِ

غَيْرَ عَابِئِينَ بِالأَيَّامِ

تَارِكِينَ هَذَا الكَوْنَ فِي أَحْوَالِهِ

أَعْلَى «غَيْرَنَا» يُغَيِّرُونَهَا.

١٩٩٩ / ١ / ٧

أَسْمَاؤُهُمْ

تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى أَسْمَائِهِمْ،
فِي أَيِّ صَفْحَةٍ،
رَبْمَا فِي كُلِّ صَفْحَةٍ،
ثُمَّ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ.
رِعْشَةٌ تُنْسَى
وَلَا أَشْطَبُهُمْ مِنْ دَفْتَرِ الْهَاتِفِ
أَمْضِي نَحْوَ قَصْدِي
ثُمَّ أَبْقِيهِمْ تَمَامًا حَيْثُ كَانُوا،
مِثْلَمَا كَانُوا
كَمَا لَوْ لَمْ يَمُوتُوا مِنْ سِنِينَ.
لَمْ تَعُدْ أَرْقَامُهُمْ تُصْغِي لِصَوْتِي
فِي صَبَاحِ الْقَهْوَةِ الْأُولَى
وَأَكْدَاسِ الْوَرَقِ.
لَمْ أَعُدْ أَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ
يُلاقوني عَلَى الْمَقْهَى
حِوَالِي السَّادِسَةِ.
لَنْ يَمْدُوا يَدَهُمْ لِلْهَاتِفِ الصَّائِحِ
لَيْلًا،
بَيْنَ مَسْوَدَاتِ أَوْرَاقِ
وَعَيْمَاتِ نُعَاسٍ، أَوْ
صِنَادِيقِ الذَّخِيرَةِ.
رِعْشَةٌ تُنْسَى
وَلَا أَشْطَبُهُمْ مِنْ دَفْتَرِ الْهَاتِفِ
فِي صَدْرِ قَمِيصِي.
سَوْفَ أَبْقِيهِمْ،
تَمَامًا حَيْثُ كَانُوا، مِثْلَمَا كَانُوا،
عَلَى صَفْحَاتِهِ،
وَبِتَرْتِيبِ الْحُرُوفِ الْأَبْجَدِيَّةِ.
كُلَّمَا جَدَّدْتُهُ جَدَّدْتُهُمْ فِيهِ،
كَمَا لَوْ لَمْ يَمُوتُوا مِنْ سِنِينَ،
أَصْدِقَائِي الرَّاجِلِينَ.

السّاحِر، مُرْتَبِكًا

يُحَاوِلُ،
لَكِنَّ مِندِيلَهُ لَمْ يُطَيِّرْ حَمَامًا.
يُحَاوِلُ ثَانِيَةً،
الْفَتَاةُ الْمُضَاءَةُ تَرْمِي إِلَى الرَّقْصِ نِيرَانَهَا،
ثُمَّ يَعلُو، مَعَ العَرْفِ، وَعَدُّ:
يُعَوِّدُ حَبْلًا،
يُحَاوِلُ، فِي لَمْسَةٍ، فَكَّ عُقْدَتِهِ
مَرَّةً، مَرَّتَيْنِ،
فَنَسَبْتُ أَكْثَرَ!
يَنهَمِكُ المَسْرَحِيُّونَ فِي حَيْلِ الضَّوِّ والعَرْفِ،
يَرْمُونَ فِي كَفِّهِ فُرْصًا، دُونَ جَدْوَى،
وَلَمْ يَرْتَبِكْ!
نَحْنُ، جُمُهورُهُ، المَؤْمِنِينَ بِأَلَايِهِ
إِرْتَبِكُنَا.
سَيَرَفَعُ قُبْعَهُ، ثُمَّ لَا يَجِدُ الأَرْنَابَ المُرْتَجَى.
وَارْتَبِكُنَا.
سَيَحْشُرُ سَاحِرُنَا البِنْتَ فِي القَفْصِ المَعْدِنِيِّ
وَيَعْرُزُ فِي جِسْمِهَا سِنَّةً مِنْ رِمَاحِ حَقِيقِيَّةٍ
ثُمَّ يَفْتَحُ صُنْدُوقَهُ،
وَالْفَتَاةُ الَّتِي رَافَقَتْهُ ثَلَاثِينَ عَامًا وَأَكْثَرَ
فَدُّ لَا تَقُومُ!

زَهْرُ الرِّمَانِ

أَبْعِدُوا عَنِّي الرَّبِيعَ
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى شَجَرَ الرِّمَانِ.
أَبْعِدُوا عَنِّي شَجَرَ الرِّمَانِ
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى زَهْرَهُ.
أَبْعِدُوا عَنِّي زَهْرَ الرِّمَانِ
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى مَصِيرَنَا
أَبْعِدُوا عَنِّي الزُّهُورَ كُلَّهَا،
كُلَّهَا
لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَنَافَسَ،
مَعَ الْمَقَابِرِ.
١٩٩٩ / ١ / ١٥

كيف الحال؟

منتظرًا باصَ المَدْرَسَة
مُتَأَمِّلًا عُيُومَ أَنْفَاسِهِ
تَتَكَثَّفُ، أَمَامَ أَنْفِهِ، فِي صَقِيعِ الصَّبَاحِ،
يُحَاوِلُ أَنْ يَضُمَّ أَصَابِعَهُ إِلَى بَعْضِهَا
فَيُخْفِقُ التَّلْمِيذُ.
عَلَى مَخْدَةِ النَّدَمِ،
يَتَمَلَّلُ الْجُنْدِيُّ الْخَاسِرُ،
يَكْسِلُ،
يَرْفَعُ فُرْشَاةَ أَسْنَانِهِ الْمَكْسُورَة
إِلَى شَفَتَيْهِ.
مُبَكِّرًا أَوْ مُتَأَخِّرًا
يَسْتَيْقِظُ الْعَرِيبُ فِي مَنْفَاهُ، أَي فِي وَطَنِهِ:
أَزْيَاؤُهُمْ، لُوحَاتُ سَيَّارَاتِهِمْ، أَشْجَارُهُمْ،
شِجَارُهُمْ، وَدُهُمْ، بَرُّهُمْ وَبَحْرُهُمْ،
لَهُمْ.
وَالذَّاكِرَة،
فَنُرَانٌ كَوَمَتْ أَجْسَادَهَا
عَلَى قِطْعَةٍ مُرَبَّعَةٍ مِنَ الْخَيْشِ السَّمِيكِ
تَبْدُو جَدِيدَةً، دَافِنَةً،
أَمَامَ بَابِهِ الْمُعْلَقِ.
عَلَى مَخْدَةِ وَحِيدَةٍ:
تَأَمَّلْتُ سَيِّدَةً سَرِيرَ ابْنِهَا الْأَكْبَرِ،
مُرْتَبًّا لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ،
وَقَارَعًا إِلَى الْأَبَدِ.
صَوْتُ مِنَ النَّافِذَةِ الْمَجَاوِرَةِ يَصِيحُ
- أَهْلًا، صَبَاحُ الْخَيْرِ، كَيْفَ الْحَالُ؟
وَيُسْرِعُ الْجَوَابُ:
- أَهْلًا، صَبَاحُ النُّورِ، إِنَّا بِخَيْرٍ.
إِنَّا بِخَيْرٍ!

ليس في الأوليمب

لا، ليس في الأوليمب
حيثُ الألهة
تُدبِرُ المكائدُ،
ويَسْهَرُ الإغريقُ بالأزديّةِ البِيضاءِ
في مساءِ ذاكِ العالمِ القديمِ
يُحصونَ قَتْلَهُمْ على المُدْرَجَاتِ،
لا ليس في ظلِّ المَكَائِسِ التي
تَرَكَّبُها، فَوْقَ العُيُومِ، ساجراتِ الشؤمِ،
وليس في أصواتِهِنَّ الرِّنْكَ،
وليس في أسنانِهِنَّ السُّودَ،
لا ليس في المَلاحِمِ التي
ينامُ قَتْلَها على سَطُورِ جِلْدِ الماعِزِ
المَخْبُوءِ في الكُهوفِ،
بل هنا، وفي طَريقنا لِمَخْبَرِ، نموتُ.

* * *

هنا
وحيث صارَ عُمُرُ السَيِّدِ المَسِيحِ
ألفي سَنَةٍ
وحيث كُحِلِي السَّمَاءِ غامِضٌ كالخَوْفِ
يلقي بهِ علي
خيوطِ الحَظَّةِ البِيضاءِ والعِقالِ،
على جِرارِ الزيتِ،
على تماثيلِ الميادينِ، على
فُطْعانِ ماعِزٍ تَأرَجَحَتْ رؤُوسُها
مِنَ قَلْبِ علي سَلامَةِ الرُّعاةِ.
لا ليس في أوروكِ أو إيثاكا
لا ليس في دِلْفِي ولا نبوءةِ
الضَّريرِ تيريسياسَ بل هنا
في النَّمشِ المَسعُورِ في الرادارِ
والأرصفةِ المُهَدَّدةِ،
أنا رأيتُ السَيِّدَ المَسِيحَ تحتِ القَصْفِ،
وعُمُرُهُ ألفا سَنَةً،
مُتَكِنًا على عَصَا، يخشى عبورَ شارعِ
ولا يَدُّ تُساعِدُهُ.

* * *

لا ليس في مَحَبَّاتِ المَوْجِ،
بل فوق هذي اليابسة،
وفي شوارع نَسِيرُ في صَبَاحِهَا
مع الذين يُشَبِّهُونَنَا
وفي ظَلامِنَا الذي نُزَرِّرُ القَمِصَانَ حَوْلَهُ،
وإِسْمُهُ كإِسْمِنَا،
أنا أوليسُ، أو مُرِيدُ، أو خَدِيجَةُ،
تَرَصَّدْنَا جَنِيَّةُ كَاكِتَّةُ
سيدةٌ مَسْبُوكَةٌ من صَدَأٍ وَعُنْفٍ،
صَبُورَةٌ، تُقِيمُ في بُيُوتِنَا،
تُراجِعُ الأَسْمَاءَ والقَوَائِمَ،
وتَطْبُحُ السُّمُومَ في قُدُورِنَا،
وتَتَنَظَّرُ.
وبالأظافر الطَّوِيلَةَ،
نَمِيلُ فَوْقَ نَوَلِنَا،
وضربةٌ فَضْرَبَةٌ،
تنكثُ، كلَّ لَيْلَةٍ، نَسِيَجِنَا.

* * *

لا ليس في طِرْوَادَةِ الخَيَالِ بل هنا
على إِشارةِ المُرُورِ، في ازدحامنا اليوميِّ،
أُبْصِرُ القاتِلَ والقَتِيلَ بَيْنُنَا
يُورِّعَانِ، من نوافذِ الرُّجَاجِ،
نَحِيَّةَ الصَّبَاحِ
قَبْلَ الطَّعْنَةِ المَخْبِأَةِ.
خَلِيقَةٌ مُخِيفَةٌ
خَلِيقَةٌ خَائِفَةٌ
خَلِيقَةٌ كَأَنَّهَا رُمَانَةٌ تَبَعَثَتْ هُنَا،
هنا رَأَيْتُ في سوقِ الخُضارِ،
أُسْطُورَةَ الإِغْرِيقِ
تَشْتَرِي لطفِهَا
رُمَانَةَ
رَأَيْتُهَا:
لها جَدِيلَةٌ تَفِيضُ عن قَوامِهَا
في القَبْرِ.

* * *

هنا على كِتَابِ هذا الوَلَدِ المُهْمَلِ
والخَائِفِ مِنْ نَتِيجَةِ امْتِحَانِهِ

ثَمَّة لَوْنٌ قَد يَظَلُّ
سَاخِنًا
إِلَى الْأَبَدِ.

* * *

لَا لَيْسَ فِي الدَّنْمَارِكِ
بَلْ هُنَا رَأَيْتُ «وَاحِدًا» فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ،
يُنْقِطُ السُّمُومَ فِي آذَانِنَا،
يَعْتَصِبُ الْمُخْمَلُ وَالْمَبَايِعَةُ.
وَلَمْ يَلُحْ لِأَيِّنَا شَبَحٌ،
يُكَلِّفُ الْأَبْنَاءَ بِالْجُنُونِ،
وَلَمْ يَضَعْ أَحَدٌ
أَيَّةَ مِرَاةٍ أَمَامَ أَيِّ وَجْهِ
وَلَمْ نَقُلْ مَا «الْمَسْأَلَةُ»!

* * *

هَنَا وَعُمُرُ هَذِي النَّخْلَةِ الرَّحِيمَةُ،
فِي بَيْتِ لَحْمٍ صَارَ أَلْفِي سَنَةٍ،
سَأَلْتُ نَجْمَةً:
يَا نَجْمَةَ السَّمَاءِ فِي لَيْلَتِنَا التُّرَابِ،
يَا نَجْمَةَ السَّمَاءِ حَوْلَ مَهْدِهِ
قَوْلِي: أَمِنْ جُدُوعِ بَلُوطَاتِهِ
سَتَلْمَعُ الْهَرَاوَةُ؟
وَمِنْ رِدَائِهِ/ النَّسِيمِ،
وَإخْضَارِ أُنْفِقِهِ/ السَّعْفِ
وَبَعْدَ أَلْفِي سَنَةٍ
سَيُلْبِسُونَ الْكُونَ خَوْدَةً
وَيَكْرُرُ الْجُنْدِيُّ بِالرَّسَالَةِ؟

* * *

الْحَزَنُ لَيْسَ مَزْمَرًا فِي كَامِيرَا الْحُجَّاجِ
مِنْ كِيُوتُو
وَلَيْسَ أَحَدَةً تُصِيبُ مَنْ رَأَى
يَا مَرْيَمُ اِحْمَلِي الرِّضِيعَ،
مُهَدَّلَ الدَّرَاعِ، لَا عَلَى
قَاعِدَةِ الرُّخَامِ فِي كَنِيسَةِ الدَّهَبِ،
بَلْ هَا هُنَا عَلَى
تُرَابِنَا.
عَلَى غُبَارِ
هَذِي الْعَتَبَةِ.

۱۹۹۸/۱۲/۳۱

في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ

في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ
لِعُرْفَةِ نَوْمِ الشَّعْبِ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ
لِحَدِيقَةِ الحَضَانَةِ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ
لأوركسترا الخامسة فَجْرًا
حيث، مُسرِّعًا، مُستقيمًا، يُغادرُ الحرّاث،
وناي الخامسة مساءً
حيث، على حَدَرٍ، مائلاً، يَعودُ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ
لِعُرْفَةِ الرَّجاءِ واليأسِ،
ابتهالُ العائِلَةِ،
صَمْتُ المُمَرِّضاتِ،
الغُصْنُ اليابسُ مُلقًى، هكذا،
على الشرشِفِ النظيفِ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ
لِعُرْفَةِ الشَّاعِرِ، حَوْلَهُ الكَلِماتُ،
كِلابٌ،
إذ تُهاجِمُ، يَهشُّها بالعِصا،
عِصافيرُ،
إذ تَنرَدُّ، يَفْتَحُ لها كَفِّه،
ينثرُ أمامها الشُّعيرَ،
ويَننَظِرُ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ لِعُرْفَةِ التَّحقيقِ،
مُرَدِّمَةً بَغِباةِ الإِسْتِغاثَةِ،
وذكاءِ الحَديدِ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ
للجِدَّةِ الجالِسةِ القَرَفِصاءِ،
أمامَ عَلاقَةِ الرَغيفِ بالنارِ،
في العُرْفَةِ المُجاوِرَةِ لِعُرْفَةِ الوِلاَدَةِ...
يَجْلِسُ،
بِعَضَلاتِهِ القَويَّةِ، مُسْتَعِدًّا لِتَقْدِيمِ العَونِ،
مُحاطًا بِلِوِازِمِ النَّجْدَةِ وأِسلِحَةِ الإِنْتِباهِ،
يُفَكِّرُ في أَمْرنا كَثِيرًا،
ويَزْ عانا،

كأنه كبيرُ عائلة لا غنى عنه.
في العُرْفَةِ المُجاوِرةِ
لِعُرْفَتِنَا العَظِيمَةِ التي نُسمِّيها بِإِلادِنَا:
المَوْتُ،
يُواصلُ سَهْرَةَ النَشِيطِ،
مِنْ أَجْلِنَا.

١٩٩٨ / ٤ / ٦

تَماسُك

الطوابقُ السَّبْعَةُ،
السُّقُوفُ ذاتُ الهدى والثرياتُ،
أفقالُ الحَديدِ
التي وَعَدَتِ النائِمَ بالاطمئنانِ،
الجُدرانُ المَدْهُونَةُ بالأبيضِ،
المَدْهُونَةُ بِلَوْنِ الخَرْدَلِ،
المَعْتَرَّةُ بِشواربِ الرَّاجِلينِ
وعُبوسِهِمُ في الإطاراتِ العتيقةِ،
النوافذُ التي، تلكَ اللحظةِ، كانتَ مفتوحةً،
النوافذُ التي، بالصُدُفَةِ، كانتَ مُعْلَقَةً،
سَلالِمُ الجرانيتِ،
قِمَاطاتُ الرضيعِ، مُشمِسَةً، ذاتَ لهُوٍ،
على جِبالِ العَسيلِ،
سَتائِرُ السَّتانِ،
خَفايا خَزائِنِ الحَديدِ،
فَرَزاتُ الشِّفاهِ على حَوافِّ الفَنَاجينِ،
اختلافاتُ الرأيِ في مُسامرةِ العُروبِ،
المحاولاتُ الفاشِلَةُ لِلابنِ الأصغرِ
لِنَيْلِ حَقِّهِ في الكلامِ،
مَكَائِدُ الخالاتِ،
لُدْعَةُ المُرَاهِقَةِ،
أُنينِ الأَسيرَةِ - لُدَّةً،
أُنينِ الأَسيرَةِ - عِلَّةً،
موائدُ الكَرَمِ،
رُفوفُ الكُتُبِ المُعْتنى بها،
شُرُفاتُ الجيرانِ اليومِ...
كلها، فجأةً، في دَقِيقَةٍ واحدةِ،
في كَوْمَةٍ ودويِّ
انهارتِ.
سَقَطَتْ على بعضها
لِتصنعني.
أنا الثباتُ فلا يهتزُّ.
أنا المُطلَقُ، فلا ينهارُ.
أنا النهائيُّ، فلا ينتهي.
أنا الحقيقةُ فلا تتزحزح.

أنا القائم، فلا يَسْقُطُ.
أنا العنَادُ، فلا يتغيَّرُ لَهُ حال.
أنا الشَّكْلُ الأخير.
أنا التَّماسُكُ الذي لا يَحْتَاجُ الأساساتُ.
أنا الصَّلابةُ.
أنا الخالِدةُ، هكذا، على هَيْئَتِي.
أنا الأَنْقَاضُ.

١٨/٤/١٩٩٨

العيد

قال العيد:

الصَّبَايا

أَحَدُنِّي إِلَى الْحَيَّاطَاتِ،

جَلَسْتُ بِجَوَارِ إِرْهَاقِهِنَّ

أَسَدْتُ ظَهْرِي عَلَى الْحَائِطِ.

مَدَدْتُ سَاقِي

وَعَفَوْتُ قَلِيلًا.

اللصوص،

أخذوني إلى رمال الريفيرا،

لاحقوا ألوان المراهقات.

تركوني في مطابخ زوجاتهم

المتفرغات للإخلاص،

فأخلصت معهن.

زعيم الجُزب،

أخذني معه إلى طبيب الطوارئ

فعرقة الإنعاش،

شعرت بغيوبته.

ولم يشعُر بحضوري.

السيدة الراديكالية ذات الصراخ

دعنتني إلى مآدبها

توسلت لها أن ترحم أصغر الخاديمات،

إذ، حين ارتبكت، سقط من يدها،

فراء الضيقة،

ذات الشعر المستعار.

الحوذي الممزق الثياب

أخذني، بقروشة القليلة، إلى هوليوود،

ركبنا معًا في المقعد الخلفي

للكاديلاك.

بائعة الفجل

على رصيف العاصمة،

أخذتني إلى أبيها في الريف،

فقدمت له علبه الدواء.

الأطفال،

أخذوني إلى مدينة الملاهي، فلّهوت.

الأمهات،

أَحَدَّنِي إِلَى الْمَقَابِرِ،
فَبَكَيْتُ.

١٩٩٨ / ٤ / ٣٠

الشَّيْخُوخَةُ

هناك اختراعاتٌ لا وجودَ لها
منها الشَّيْخُوخَةُ.

الذاهِبُونَ إلى «هناك»،
يأخذون طُفولَتَهُمْ معهم
يُمسِكُونَ بها

من أصابعِها ذاتِ الغَمَّازاتِ،
يَحْكُونَ لها قِصَصًا.

يأخذون معهم سَخافاتِهِم الصَّغِيرَةَ
جِيلَ النَّقْلَتِ مِنَ القَيْدِ،

مَكْرَ اللَّفْتَةِ ذاتِ النوايا،
العَتَبَ على صَدِيقِ،

الشكوى مِمَّا لا يُطاقِ،

آراءَهُم في الاجتماعِ السابقِ،
وفي الانتخاباتِ القادمةِ.

رَأَيْتُ كَثِيرِينَ،

حتى على فِراشِ المَوْتِ،

يُحِبُّونَ أن نُلَاعِبَهُمْ.

يُصارِعُونَ عَدُوًّا ما.

يَرْتَابُونَ في فِكْرَةٍ أو شَخْصِ.

اليَدُ (عِنْدَ سَماعِهِم إِسْمًا يُحِبُّونَهُ)

تهجُمُ، بِفَرَحِ، على سَماعَةِ الهاتِفِ،
أو،

بحركةِ سينمائيَّةٍ خاملَةٍ، ترسمُ تَعليماتِها:
«قولوا إِنَّهُ نائمٌ».

يُصْدِرُونَ الأوامرَ المُعتادَةَ.

يَسْرِقُونَ سِجارةً من رُؤارِهِم.

يُخْفُونَهَا تَحْتَ المِخْدَةِ.

يُحَدِّثُونَكَ عن خَطِطِهِم المُقْبِلَةَ.

يُسيئونَ فَهْمَكَ.

يُجادِلُونَكَ حتى الطَّرْدَ مِنَ العُرْفَةِ.

يُصْطَحِبُونَ مَعَهُمْ.

طريقَتُهُم في لُفْظِ الرِّاءِ،

رَغَبَتُهُمْ في نَيْلِ الإعجابِ،

أسلوبُهُم في مُقاطَعَةِ المُنحَدِّثِ،

يأخذون شَباشِبَهُمْ،

عادَاتِهِمْ وَأَحْبَابِهِمْ،
مَآكِينَةَ الْحِلَاقَةِ، عُلبَةَ المَآكِيَاخِ
وَكُلَّ مَا لَا يَلْزَمُهُمْ
فِي رِحْلَتِهِمِ الْأَخِيرَةَ!
حَتَّى نَحْنُ،
نَحْنُ، مَنْ نُحِبُّهُمْ،
نَحْنُ، الَّذِينَ، مِنْذُ جِنْنَاهَا،
ظَنَنَّا الدُّنْيَا مُكَوَّنَةً، أَيْضًا، مِنْهُمْ،
تَمَامًا كَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ وَالتُّرَابِ
نَحْنُ الَّذِينَ، لَحَظَّتْهَا،
(تَمَامًا كَالْحَاجِنِ الْغَابِرِ
بِشَانِ مَدِينَةِ الْمَلَاهِي)
نَرُغِبُ فِي مُرَافَقَتِهِمْ
إِلَى الْعَالَمِ الْآخَرِ،
بِنَمَاطِهِمِ الذَّكِيِّ،
وَلِأَسْبَابٍ يَعْرِفُونَهَا هُمْ وَحَدَهُمْ،
يَرْفُضُونَ أَنْ يَأْخُذُونَا
مَعَهُمْ.

٩/٣/١٩٩٨

يَحْدُثُ... أحياناً

اتَّفَقْنَا مَعَ الْهَوَاءِ،
أَنْ يَكُونَ صَالِحًا،
لَكِنَّهُ أحيانًا، حَتَّى لَوْ أَنْكَرَ ذَلِكَ،
يَتَلَوَّثُ.

اتَّفَقْنَا مَعَ النَّارِ
أَنْ نَعْرِفَ كَيْفَ نُشْعِلُهَا
وَكَيْفَ نُطْفِئُهَا
لَكِنَّهَا أحيانًا تَسْتَعِجِلُ فَقَطْ.

اتَّفَقْنَا مَعَ الْمَطَرِ
أَنْ يَأْتِيَ فِي مَوْسِمِهِ،
لَكِنَّهُ، أحيانًا، يَخْطِئُ،
فِيَجْرِفُنَا الْعَطَشَ
أَوْ يَخْطِئُ فَتَجْرِفُنَا السِّيُولَ.

اتَّفَقْنَا مَعَ الْبَحْرِ
أَنْ يَحْمِلَ سَفُنَنَا بِسَلَامٍ،
لَكِنَّهُ، أحيانًا، يُعْرِقُهَا.
أَنْتِ أَيْضًا، يَا سَيِّدِي،
تُخْطِئِينَ.

١٩٩٨ / ٤ / ١١

الأسلاف

لا يُعَقَّلُ
أن أطلب من أسلافي الموتى
أن يعرفوا ماذا جرى لي بعدهم،
ولا أن يخوضوا حروبي،
ولا أن يخرجوني من ورطتي.
لكن أسلافي الموتى،
يطلبون مني
أن أعرف ماذا جرى لهم،
وأن أخوض حروبهم،
وأن أخرجهم من ورطتهم.
لأن ورطتهم،
أقصد ورطتهم ذاتها،
ظلت تنتقل بين الوديان
الأعمار،
عرف الولادة،
المقابر الجماعية،
الخرائط، والبيوت،
إلى أن، كاملة، كما هي
(أثناء ابتهالي طالباً لهم الرحمة والمغفرة)
استقرت بين ذراعي
وواصلنا، معاً، بخطوات أثقل،
وعلى ضوء أقل،
ورطتي وأنا
طريقاً، على جانبيها،
حروب... كحروب الأسلاف،
وسلام... كسلام الأسلاف،
وأمل، هذه المرة، يخصنا نحن.
ولا يخصهم هم.

دافئ، كنعجة في الثلج

الوهم،

واضح، كمقبض المكنسة.

واسع، كالمكان النظيف.

الوهم

يمكن لمسهُ بالأقدام،

كسجادةٍ من شيراز.

الوهم،

يمكن أن يطيرَ

كَمَوْجَةٍ

في شعرٍ «هربرت فون كارايان».

إذ يورع كلُّ بيتهوفن،

على أصابع العازفين،

يُضْرَبُ اللَّيْلَةَ بالصَّحْوِ،

فَتَصْحَو.

الوهم،

يمكن الإمساك به من أذنيه،

كَجَرَّةِ نَبِيذٍ،

أو فُقَّةِ زَيْتُونٍ.

الوهم

يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ كَالثَّلَاجَةِ أَوْ الْجِذَاءِ،

يُمْكِنُ شَحْدُهُ كَسِكِّينِ الْمَطْبِخِ،

أَوْ كَسُيُوفِ تَعْيِيرٍ، عَارِيَّةٍ، بِصِرَاحَةٍ،

عن آرائها.

الوهم

حَشِينٌ كَمِهْمَازٍ.

لماذا وَهْمُ الْعَائِلَةِ، وَهْمُنَا الَّذِي يَخْصِنَا،

وثيرٌ،

كِعَرَشٍ مَحْشُورٍ بِالضَّبَابِ،

لذيدٌ،

كَالكَرَزِ، إِذْ يَتْبَاهَى بِلَوْنِهِ الْمَهْدُورِ،

دافئٌ

كنعجة في الثلج؟

أيها الجميلون،

كالنعاس تحت شجرة

أيها المُخْتَصِرُونَ، كأنكم أجفانٌ فقط،

بما أنه ليس أجمل من فريسة نائمة،
عموا مساءً.
٢٢/٦/١٩٩٧

دَخَلَ الْمُسْتَقْبَلُ إِلَى عُزْفَتِي

دَخَلَ الْمُسْتَقْبَلُ إِلَى عُزْفَتِي.
عَلَيْهِ غُبَارُ مَشْيِهِ الْأَبَدِيِّ.
نَاحِلٌ، ضَيْقُ الْكَتْفَيْنِ،
أَطَافِرُهُ لَا تَسْرُ الرَّائِي،
جِدَاؤُهُ مُهْتَرِي.
عَكَازُهُ الْقَصِيرِ
يُضْطَرُّهُ أَنْ يَقِفَ مَائِلًا.
صَوَّبَهُ إِلَى صَدْرِي.
يَا لَوْحَزْتَهُ الْمَوْجِعَةَ!
يَا لَصَوْتَهُ الْأَمْر:
مَاذَا تَفْعَلُ هُنَا أَيُّهَا الرَّجُلُ؟
قُمْ!

وَدَعَانِي
لِلْمُبَارَزَةِ.

١/١١/١٩٩٨

ريشة رينوار

تُطالِبني بالكلام
فأزْدادُ صَمْتًا
وهل لي بتعليبِ مَوْجِ لَعِينِ
يُمِيتُ ويُحْيِي
وتَقْدِيمِهِ تُحْفَةً بالشَّرِيطِ الحَرِيرِيِّ؟
أو ضَمَّ أَدْغَالِي الرَّاجِفَاتِ مع الرِّيحِ
في باقِة؟
كيف أُشْرَحُ ما فيَّ يا بِنْتُ؟
هذا الصُّرَاخُ الحَفِيّ،
وأنفاسَ نَمْرٍ عَجُوزٍ يُفَكِّرُ
في هُوَّةٍ فَاجَأَتْ رَكُضَهُ،
وتَلَامَسَ ريشَةَ رينوارَ مع نُقْطِ الضَّوءِ
في صَفْحَةٍ من ضبابٍ وحيثُ،
ونكْهَةً مِليئينَ من شَجَرِ المَشْمِشِ
المسْتَعِدِّ لِإيْلاننا بِالجمالِ العَنيفِ
وهَدَمَ الوُحُوشِ سِياجَاتِها
في مساءٍ من الطَّيِّشِ،
كيف سَأْجَمُعُ أَجْراسَ مَنْ رَحَفوا
للصَّلَاةِ صَباحَ الأَحَدِ،
مع فُسُوقِ سَدُومَ؟
وفَتَكِ مِياهِ السُّدُودِ بِجُذُرانِها؟
وشُرُورِ العُزْاةِ القُدَامِي؟
وكأسِ أَميرٍ يُكَسِّرُها، غاضِبًا، حينَ
تُنْثَلِي رسالةَ أَعْدائِهِ؟
وبِنْتِ تُمَرِّقُ فُستانَها بِبيدِها
لندعو أفاعي الخيالِ إلى عُرْيِها القُرُويِّ،
وسِنْدانِ آلهةٍ يَطْرُقونَ حَدِيدَ التَّعاليمِ لَيْلاً؟
ومن أين أُدْرِكُ كم في رِذاذِي من الشَّمْسِ؟
كم في وقاري من الشَّرِّ واللَّعِبِ الوَثْنِيِّ؟
وهل في ثيابِي سَناجِبُ بَرْدانَةٍ
تَنَلِصَقُ
حتى يَرِنَ على بَرْدِها جَرَسُ الصَّيْفِ؟
أو فَرَسُ
تَنفارقُ عن أُمِّها
كي تُكسِّرَ بالحافرِ الحُرَّ بَرِّيَّةَ العائِلَةِ؟

فلا تَسْأَلِي رَاكِضًا أَن يُرَتِّبَ فَوْضَاهُ،
لَا تَطْلُبِي أَن أُعَلِّمَ
هَذَا الْقَطِيعَ مِنَ الْجِنَّ فِي دَاخِلِي لُغَةً.
لِلْقَوَامِيْسِ فَلْيَذْهَبِ الطَّيِّبُونَ
أَنَا سَاكِنٌ فِي غَيُومِ نَوَابِي،
أرْمِي عَلَى الْأَرْضِ سِلْكًَا مِنَ الْبَرْقِ وَالشَّرِّ،
يَلْمِسُهَا،
ثُمَّ يَرْتَدُّ فِي عَتَمَتِي، بُرْهَةً، ثُمَّ
يَلْمِسُهَا،
لَا يُطْمَئِنُّ، لَا يُطْمَئِنُّ
وَصَمْتِي
كَدُرِّجِ السَّكَاكِينِ إِذْ تَلَمَّعَ الشَّمْسُ فِيهِ
أُنْظُرِي جَيِّدًا
٢٠/١/١٩٩٩

كُرْسِيُّكَ هَذَا

كُرْسِيُّكَ هَذَا،
وهو قَوِيٌّ وَأَنْبِقُ،
إِذْ تَصْمِتُ فِيهِ،
وَتُحَاوَلُ، مُرْتَبِكًا وَحَيًّا،
إِخْفَاءَ يَدَيْكَ،
أَوْ نَظْرَةَ عَيْنَيْكَ،
يَبْدُو لِي مَكْسُورًا،
وَأَكَادُ أَجْسَ، خَفِيفًا، مَلْمَسَهُ،
وَأَحِنُّ عَلَيْهِ.
كُرْسِيُّكَ هَذَا
إِذْ يَنْطَايِرُ قَشُّ شِجَارِكَ،
وَتُعَاتِبُنِي وَتَلُومُ،
أَعْرِفُ كَيْفَ أَكْذِبُ ضَجَّتَهُ
وَأَصَدِّقُ مَا لَمْ يَجْرُ عَلَى الشَّفَقَتَيْنِ.
أَدْنُو مِنْكَ، حَيًّا، مُرْتَبِكًا:
خُذْنِي!
كُرْسِيُّكَ يَأْخُذُ مَكْسُورَيْنِ.

١٥/١٢/١٩٩٨

سَهْرٌ

هكذا، في الازدحام،
وأنحاءاتِ التّعارُفِ،
وابتساماتِ الضُّيوفِ الماهرين،
لم يُلاحظْ أَحَدٌ
أني رأيتُ النّحلةَ ارتاحتْ هُناكَ.
لم يُلاحظْ أَحَدٌ
أنّ الكناري بينَ عُصنَيْنَا أقام.
لم يُلاحظْ أَحَدٌ
أنّ حريقاً شبَّ في قننِ حقولي.
لم يُلاحظْ أَحَدٌ
كمْ أشتَهيكُ.

تموز/ يوليو/ ١٩٩٦

عَمَّا قَلِيلٍ

عَمَّا قَلِيلٍ،
سَوْفَ تَنْضِحُ الْجَرِيمَةَ
عِنْدَمَا سَأْرَاكَ مُقْبِلَةً عَلَيَّ:
سَتُخَبِّئِينَ الْإِرْتِعَاشَةَ، كُلَّهَا، فِي نَظْرَةٍ،
سَتُخَبِّئِينَ النَّصْلَ
فِي أَكْوَامِ شَوْقٍ، لَا يَشَاهِدُهُ سِوَايَ،
وَسَتَقْتُلِينَ الثُّغْلَبَ الْوَحْشِيَّ
وَهُوَ يَنْطُ تَحْتَ قَمِيصِكَ الْخَجْلَانَ
كِي تَبْدُو مُلَامَسَةَ الْيَدَيْنِ
بَرِيئَةً
وَبَسِيطَةً
كَمُصَافِحَاتِ الْآخَرِينَ!

آذار / مارس / ١٩٩٨

لا تُسمِّي الشَّيء!

لا تقولِي ما الذي يُربِّكُنَا هذا المساء.
أُترُكي الصَّمْتِ يُوَالِي صَمْتَهُ
تحت زلزالِ حَنونٍ واجْهَلِي، لا تعرفِي.
لا تُرْسِلِي المَعْنَى إلى سِجْنِ الكَلَامِ.
لا تُقِيمِي للعَصافِيرِ بيوتًا وأثانًا
لا تُسمِّي الشَّيءَ. لا تبني سِياجًا،
أُترُكي فَوْضَى السَّمَاوَاتِ حُدُودًا للغَمَامِ.
دَرَجُ اللَّيْلَةِ يُفْضِي للأَعَالِي فتعالِي
نحنُ لن نَخْرُجَ مِنْ هذا الظُّلَامِ.
قَبْلُ أن نَدْخُلَ فِي هذا الظُّلَامِ.

تموز/ يوليو/ ١٩٩٦

حالاتُ السيِّدة

رُوحٌ تُزاحِمُ في إشاراتِ المُرورِ
لكي تَمُرَّ إلى الوظيفةِ،
أو تعودَ
برِبطَةِ الخُبزِ الخفيفةِ، والجريدةِ،
والأسي.

شَغَفٌ يَسِيرُ على الطُّرُقِ.

في مسرح

هي ضَوْؤُهُ وظَلَامُهُ

مأسائُهُ، رقصائُهُ،

ومُسَدَّساتُ شُرورِهِ،

وعدالةُ الفِصلِ الأخيرِ،

كأنَّها تصنِّفُنا العالِي

ورِيشُهُ حَوْفِنا.

والسيِّدة

هَبَّةٌ تُورِّعُ ضَوْءَها دَقَّاقًا،

ومُتَعَبَةٌ كَنَبَعِ.

وتكون واقفةً، على قَلَقِ،

هنا

وكانها المَسْعَى السَّعِيدُ إلى

هناكَ،

وتكونُ مُسَدِّلةً ذراعِيها، على كَسَلِ، ونائِيَّةً،

فكيف أراهما مفتوحَتَيْنِ إلى عِناقِ

المسَرَّةِ ذاتِها

تجنُّو كَقِطِّ عِنْدَ حُقيها،

يلاعبها فتَلْعَبُ

والشِّقاءَ، على مخدَةٍ ليلِها،

يروِي لها

قِصصًا قصيرةً.

١/٩/١٩٩٨

اطمئنانها

موشِكًا أن يَفُورَ، فائِضًا عن الحاقَّةِ،
الحَلِيبُ
ترْفَعُهُ، يَدُّ عن شُعْلةِ المَوْقِدِ،
يَهْمَدُ قَوْسُهُ الساخِنُ،
تَسْتَرخي قُبْبُهُ اليَبيضاءُ،
وناعِمًا، رايِّقا،
يَطْمَئِنُّ
مُرْتاحًا في سُكونِهِ.
عندما نُوقِدُ نوايانا،
وجهها، مُتَوَقِّعا الحُطُوةَ القادمةَ،
يعلو وَيَقْتَرِبُ،
فأقْتَرِبُ.
مَلامِحُها
توشكُ على الفُورَةِ والفَيْضِ،
وعندما، شَيِّبًا فشيِّبًا، نَرْتاحُ في السُّكونِ،
تكونُ لَمَسَتُنَا العُظْمى وَقَعَتْ،
ويكونُ كُلُّ مِنَّا أَحَدًا صاجِبُهُ
إلى هُنَاكَ.

١٩٩٨ / ١٢ / ٢٠

سُونَاتَا الْقَيْرَوَانُ

سَاهِمًا، أَتَغَافَى عَلَى مَفْعَدِ طَائِرٍ
سَوْفَ يُبْعِدُنِي أَلْفَ مِيلٍ عَنِ الْقَيْرَوَانِ،
أَتَى صَوْتُهَا، صَاعِدًا مِنْ قِبَابِ الْبَلَدِ.
لَمْ أَقُلْ لِلْعَرَبِيَّةِ مَا شِئْتُ ذَاكَ الْمَسَاءِ.
أَغْمَضْتُ.

أَدَخَلْتُ كُلَّ أَوْصَافِهَا فِي ظِلَامٍ
تَلَوْدُ بِهِ مِنْ وَحُوشٍ تَرَاءَتْ لَهَا
لَا وَحُوشَ هُنَا يَا صَغِيرَةَ! مِمَّ ارْتَجَفْتُ؟
سِرَاجٌ قَوِيٌّ، يَنُوسُ وَيَعْلُو، بِدَاخِلِهَا صَارَ صَوْتًا
وَعَنَّتْ.

بِقَلْبٍ قَلِيلِ السِّنِينَ، يُفْتَشُّ عَنِ مَهْرَبٍ
لَا لِتُنْبِتَ إِتْقَانَهَا أَوْ لِتَرْهُوَ بِمَا مَلَكَتُهُ
وَعَنَّتْ.

سَتَلْمَسُ بِالْكَفِّ، لَمَسًا، جَبِينِ الْهَوَاءِ
الْمُحِيطِ بِهَا،
وَبِنَا.

سَتَمِيلُ، خَفِيفًا، عَلَى جِهَتَيْنِ،
وَتَنْضَعُ الزُّهْرَاتِ
الَّتِي نُقِشَتْ فِي نَسِيحِ الْقَمِيصِ عَلَى خَصْرِهَا.
سَتُنَادِي عَلَى مَنْ نَأَى،
سَوْفَ تُرْبِكُ تَرْتِيبَ عَالَمِنَا.
سَتُشَبِّطُ شَعْرَ الْحَيَاةِ
بِرْفُقِي،

وَتَصْحَبُهَا خَطْوَةً خَطْوَةً فِي الطَّرِيقِ إِلَى الرَّوْضَةِ/
انْفَلَتَتْ

مَنْ زَحَامِ الْجَمِيعِ إِلَى غَابَةِ لَا تُرَى بِالْعَيُونِ
وَعَنَّتْ،

أَفِي عُمْرِهَا الطُّفْلِ مُتَسَّعٍ لِعَذَابِ مُسِينٍ؟
أَضِيْعَهَا عَاشِقٌ، أَمْ أَضَاعَتْهُ؟
هَلْ صَدَّقَتْ عَسَلًا فِي ظُرُوفِ الْمَكَاتِيبِ،
أَمْ حَدَّثَتْ فِي الْفَخَاخِ الْأَنْيَقَةِ طُعْمًا؟
وَكَيْفَ انْتَبَهَتْ لَهَا كُلِّهَا؟
وَانْتَبَهَتْ لِمَا سَوْفَ تُخْفِيهِ عَنْ أَحْتِهَا؟
وَالرَّمِيْلَاتِ فِي السَّكَنِ الْجَامِعِيِّ
وَعَنْ نَفْسِهَا؟

نحن كنا قريبين جدًّا، بعيدين جدًّا
(وبعد المسافة سُخرية من دُئو المقاعد)
كنا غموضين ذاك المساء.

وكنا غناءين رغم سُكوتي
وكنا سُكوتيين رغم الغناء.

لم أقل للغريبة ما سأقول لها الآن بعد الرحيل:

«تَمَنَيْتُ لو كنتُ سِحْرًا يَرُدُّكَ، فورًا، إِلَيْكَ!»

«تَمَنَيْتُ لو كنتُ أَمَكِ، حتى أضُمَّكَ خوفًا عَلَيْكَ!»

سَاهِمًا، مغمضَ الجسمِ في مَقْعِدِ طَائِرٍ

سوف يُبْعِدُنِي أَلْفَ مِيلٍ عن القَيْرَوَانِ،

أتى صَوْتُهَا، صاعدًا من قِبابِ البَلْدِ.

كأنَّ الغريبةَ ظَلَّتْ تُعَنِّي

لأوصافِها

لا لأجلي... ولا لأحد!

١٩٩٩/٥/١٠

يَدُ صَغِيرَةٍ عَارِيَةٍ

مُمْسِكًا يَدَهَا الصَّغِيرَةَ العَارِيَةَ،
إِلَّا مِنْ خَاتِمٍ وَحِيدٍ،
تِلْكَ اللَّيْلَةَ، رَأَيْتُ،
ليس فقط
الْوَجَعَ الَّذِي تُجَاهِدُ، دُونَ جُدُوى، لِكَيْتَمَانِيهِ،
حَجَلَهَا مِنْ أَنْ صَرَخَتْهَا أَفْلَنْتُ،
العَرَقَ الَّذِي أَضَاءَ جَانِبَ العُنُقِ،
بل أيضًا،
رَأَيْتُ امْتِنَانَ عَيْنَيْهَا لِلْمُمَرِّضَةِ الخَائِبَةِ،
رَأَيْتُ مُحَاوَلَاتِهَا
إِرْسَالَ ابْتِسَامَةٍ اعْتِذَارٍ لِسَهْرِنَا،
أَوْ لَفْتَةً غَضَبٍ مِنْ تَلَكُّو الطَّبِيبِ.
رَأَيْتُ اسْتِغَاثَاتِهَا ذَاتَ الأشْكَالِ،
رَأَيْتُ الكُهُولَةَ دَاهَمَتْ صِبَاهَا،
رَأَيْتُ،
أنا الذي لم أستطع المُسَاعَدَةَ،
رَأَيْتُ الجُنُونَ يَقْتَرِبُ مِنِّي،
كما يَقْتَرِبُ عَوْدُ الكَبْرِيتِ مِنْ سِجَارَةٍ:
أَهْكَذَا تَأْتِي لَنَا الأُمَّهَاتُ الصَّغِيرَاتُ بِالطِّفْلِ؟
إِلَى الجَهِيمِ، أَيْتِهَا الأَبُوءُ!
أَمَا مِنْ سَبِيلٍ، الآنَ، لِلتَّرَاجُعِ؟
لَا وَقْتٌ لِعِقَابِي!
كَيْفَ فَاتَّتِي
أَنْ أَمَدَّ فِي هَذَا الهَوَاءِ
جِبَالًا كَثِيرَةً
لَعَلَّهَا، تَبْنًا وَسَنَدًا، تُمَسِّكُهَا؟
أَوْ أَشْتَرِي لِعُرْفَتِهَا
هَوَاءً لَا يَتَمَرَّقُ حَوْلَهَا هَكَذَا؟
أَوْ أَسْتَعِينُ بِجَيْشٍ يَطْرُدُ الأشْبَاحَ مِنْ هُنَا؟
لَا أَحَدٌ يَسْتَعْجِلُ الصَّبَاحَ،
فُلْتُ كَيْفَ فَاتَّتِي
أَنْ أُبْرِمَ انْفَاقًا مَعَ الصَّبَاحِ
أَنْ يَسْتَعْجِلَ؟
لَكِنَّهُ، فِي مَوْعِدِهِ، أَتَى.
وَعِنْدَمَا صَاحَ، مُغْمِضًا، صَيْحَةَ الحَيَاةِ،

هَدَاَ الْهَوَاءَ.
هَدَاتُ مَلَاءَةُ الْكَوْنِ.
هَدَاتُ الْأُمِّ الصَّغِيرَةِ.
هَدَاَ الْمَوْلُودَ.
هَدَاَ الْكُلَّ...
إِلَّا حَجَلِي.
أَنَا الَّذِي أَقِفُ فِي الْخَارِجِ،
أَتَقَيَّ... التَّهَانِي!
آذار / مارس / ١٩٩٨

حَرِيرٌ يَشْتَهِي أَنْ يَتَمَرَّقَ ... هَكَذَا

قالت المراهقة:
أنا حَرِيرٌ يَشْتَهِي أَنْ يَتَمَرَّقَ،
هَكَذَا!

أنا
لُدْعَةُ اللَّذَّةِ
أُرْتَجَى. وَأَهَابُ.
صَوْتُ لَا يَمَلُّ المُنَادَاةَ عَلَيَّ
مَنْ لَيْسَ هُنَاكَ.
صُعُودٌ سَاخِنٌ، مُسْتَعْجِلٌ
عَلَى

سَلْمٍ بِلَا دَرَجَاتٍ.
نَوَايَا فِي أَغْمَادِهَا،
وَتَدَايِيرٍ.
هُمُومٌ،

تُرْتَدِي طَاقِيَّةَ إِخْفَاءِ زَاهِيَةِ
أَصَابِعَهَا تَبْحَثُ، فِي الظَّلَامِ
عَنْ جَرَسِ البَابِ.
حَدْرٌ يَحْرِصُ عَلَيَّ وَسَامَتِي،
يَتَحَطَّمُ
يَلْمَسُنِي.

شَوْكَةُ الخَيَالِ
مَرْمِيَّةٌ بِعِنَايَةٍ
بَيْنَ أَوْرَاقِ الكِتَابِ المَدْرَسِيِّ.
عِنَاقٌ أَوَّلُ،
وَأَلَدٌ وَبِنْتُ:

مَرْهَرِيَّتَانِ عَلَيَّ الحَاقِقَةِ.
دُرُوءَةٌ لَا تَسْأَلُ نَفْسَهَا:
أَيْنَ السَّفْحُ؟
لَا تَسْأَلُ نَفْسَهَا:

أَيْنَ القَاعِدَةُ؟
تَنْظُرُ، مِنْ عَلَيَّائِهَا،
إِلَى السَّاعِينَ لِلرِّزْقِ،
وَلَا

تَرَاهُمْ.
طَائِرَةٌ وَرَقِيَّةٌ،

لحظة إفلاتها من الخيط،
إلى شجر البرق،
تقول للجاذبية:
هكذا أكرهك.

تقول:

السَّماءُ أَرْضِي الْحَقِيقَةُ
والأَرْضُ مَصِيدَةٌ.
إبتهاً بلا ذراعين
يجلسُ على كرسيِّ المَقهى
ذاهلاً عن المارّة،
مُحدِّثاً في كلِّ منهم.
أرْكُلُ أَصْنَامَ الْعَائِلَةِ،

لكّني

أنتظِرُ عَطَايَاها!

ألعنّها سِيراً

لكّني

أطلبُ مِنْهَا الْبَرَكَةَ!

حافٍ رِغْمِ حِذَائِي،

جائعٍ رِغْمِ قَمَحِي،

عَطْشَانُ، لا يَدُلُّنِي أَحَدٌ عَلَى سَبِيلِي.

لأنني

لا أريدُ أَنْ يَدُلُّنِي

أَحَدٌ

١٩٩٨ / ٥ / ٣

رِغْشَةٌ لَا يُمَكِّنُ تَعَوُّدُهَا

الحُبُّ الثَّانِي، وَالثَّلَاثُ، وَالرَّابِعُ...

كُلُّهَا حُبٌّ أَوَّلٌ.

لَا لَمْسَةَ تُشْبِهُ لَمْسَةَ.

لِلْقَفْرِ فِي الْبِرْكَاتِ

رِغْشَةٌ لَا يُمَكِّنُ تَعَوُّدُهَا.

الْقَيْلُ

نَقْصُرُ وَتَطْوِلُ.

مَنْ قَالَ إِنَّهَا أَعْوَادٌ فِي غُلْبَةِ كِبْرِيَّتِ؟

الْمَخْدَّةُ،

لَا تَقُولُ الشَّيْءَ ذَاتَهُ لِالْاِكْتِنَافِ ذَاتِهَا

حَتَّى جَرَسَ الْبَابَ

لَا يُكْرَرُ رَنْبِنَهُ.

اللَّذَّةُ،

أَيْسَ لَهَا مَاضٍ

اللَّذَّةُ،

هَلْ تُذَكِّرُ إِلَّا بِذَاتِهَا؟

اللَّذَّةُ،

هَلْ تَضْرِبُنَا إِلَّا لِحِظَةٍ وَقَوَعِهَا؟

الْخَوْفُ، كُلَّ مَرَّةٍ، طَازِجٌ،

يَبَاغِتُنَا

كَأَنَّهَا قَبْلَهُ، شُجْعَانٌ.

حَتَّى فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ

نَخَافُ لِلْمَرَّةِ الْأُولَى.

الْحُبُّ الْأَخِيرُ،

هُوَ، أَيْضًا، حُبٌّ أَوَّلٌ.

١٩٩٨ / ٤ / ١٤

لِمَنْ؟

يا أُمِّي لِمَنْ هَذَا الْجَيْشُ؟
هَذَا جَيْشُكَ يَا طِفْلِي الْعَزِيزِ،
جَهَّزْتُهُ لِيَحْمِيكَ.
يا أُمِّي لِمَنْ كُلُّ هَذِهِ الْأَسْلِحَةِ؟
هَذِهِ أَسْلِحَتُكَ يَا طِفْلِي الْعَزِيزِ
أَشْتَرِيئُهَا لَكَ، لَتَطْمَئِنَّ.
يا أُمِّي لِمَنْ هَذِهِ الشَّرْطَةُ؟
هَذِهِ الشَّرْطَةُ شَرُطَتَاكَ
تَسْهَرُ لِحِمَايَةِ سَهْرِكَ.
يا أُمِّي لِمَنْ كُلُّ هَذَا الْمَالِ؟
هَذَا الْمَالُ مَالُكَ يَا طِفْلِي الْعَزِيزِ
لَتَعِيشَ عَنِّيًا.
يا أُمِّي لِمَنْ هَذِهِ الْكُتُبُ؟
هَذِهِ كُتُبُ أُسْلَافِكَ يَا وَلَدِي الْعَزِيزِ
خَرَائِطُ الْبُلْدَانِ، قِصَصُ السَّابِقِينَ،
تَوَارِيخُ الْأُمَمِ،
جَمَعْتُهَا لَكَ
لَتَعْرِفَ.
يا أُمِّي لِمَنْ هَذِهِ الْأَنْهَارُ
وَالشُّطَّانُ
وَالْحَقُولُ الْمَزْرُوعَةُ
وَالصَّحَارِي
وَالجِبَالُ
وَالْحُدُودُ
وَالْقِصَائِدُ؟
كُلُّهَا
لَكَ
لَكَ
لَكَ.
الطِّفْلِ،
مُتَأَمِّلًا السَّحْلَةَ
الزَّاحِفَةَ، بَاطِمِنِّانٍ، عَلَى السَّقْفِ،
أَحَدَهُ النَّوْمُ.

وَأَدَانَ يَصْعَدَانِ جَبَلًا

تَوَجَّعَ قَلِيلًا!
تَوَجَّعَ كَثِيرًا!
سَنَصْعَدُ هَذَا الْجَبَلَ.
مُتَعَبِينَ تَمَامًا،
وَحَوْلِي وَحَوْلَكَ يَا سَانِ، يَا سِي وَيَأْسُكَ
رُغْبِي وَرُغْبِكَ يَا صَاحِبِي
نَحْنُ لَسْنَا جَبَانَيْنِ أَوْ بَطْلَيْنِ
وَلَكِنَّا
وَأَدَانَ بِسَيْطَانِ
مِثْلَ مَكَاتِيبِ فَلَاحَةِ غَرَبِهَا
بِسَيْطَانِ
مِثْلَ نُعَاسِ الرُّعَاةِ وَمِثْلِ الْعَطْشِ.
بِسَيْطَانِ كَالْعَائِدِينَ مِنَ الْحَقْلِ لِلْبَيْتِ،
كَالْعَائِدِينَ مِنَ الْوَيْلِ لِلْبَيْتِ
نَحْنُ بِسَيْطَانِ يَا لَيْتَ قِصَّتْنَا مِثْلُنَا!
الطَّرِيقَ إِلَى السَّهْلِ هَذَا الْجَبَلِ
الطَّرِيقَ إِلَى الْأَهْلِ هَذَا الْجَبَلِ
كُلُّ مَا تَشْتَهِي، كُلُّ مَا أَشْتَهِي
يَبْدَأُ الْآنَ أَوْ يَنْتَهِي
وَالْأَمَلُ
ذُرْوَةَ الْيَأْسِ يَا صَاحِبِي
الْأَمَلُ
تَوَجَّعَ قَلِيلًا، تَوَجَّعَ كَثِيرًا
تَوَجَّعَ، فَإِنَّ الْأَمَلَ،
ذَاتَهُ،
مُوجَعٌ،
حِينَ لَا تَبْقَى سِوَاهُ!

٢٥/٥/١٩٩٨

النَّجَّة

لَوْهَلَةَ،
ظَنَّ كَمْ قَمِيصِهِ، حَسْبُ، هُوَ الَّذِي تَمَزَّقَ.
حتى بعد تدفُّق اللون، ساخنًا،
استهَوَّنَ نزيْفَ ذِراعِهِ.
كان يُحاول، جَسارَةً وَتَهَوُّرًا، إنقاذَ الْمِسْكِينَةَ.
كيف نَهَشَها مِنِّي هكذا؟
كيف فَرَّ بها هذا الذَّنْبُ؟
هذا الذَّنْبُ الكَلْبُ؟
لم أرَ نهارًا كهذا!
لم تُلاقِ نَجَّةً مَصِيرًا
كمصيرِ هذه الصغيرة
أنا الذي أحامي عن قطيعي،
أنادي كلَّ نَعَجَةٍ، فيه، باسمِها،
أصطَحِبُهُ إلى أفضلِ عُشْبٍ وماءٍ.
لا أرتاح
إلا حين أسلِّمُهُ لهم، سمينًا، كاملًا،
في مَوْسِمِ الأَضاحي
حيث الفَرَحُ،
والكلاليب.

٢٦/٣/١٩٩٨

لير

أصْدِرِ الأَمْرَ
للرَّيحِ وَالوَحْشِ وَانْعَمْ بِمَا تَشْتَهِي.
جَاهِلٌ مَنْ يَلُومُ.
أَلَمْ تَتَّخِذْ عَلَى مُخَمَلِ الوَقْتِ وَالخَشَبَاتِ؟
أَلَمْ تَعُدْ سَيِّدَ كُلِّ المَسَارِحِ وَحَدِّكَ؟
وَانظُرْ:
ضَحَايَاكَ يَبْكُونَ، صِدْقًا، عَلَيْكَ.
فَسَيِّمِ المُلْكَ وَالمَمْلَكَةَ.
أَطْرِدِ الطَّيْرَ مِنْ كَفِّ كُورْدِيلِيَا
وَالعَيْنِ العَاصِفَةَ
ثُمَّ رَدِّدْ مِرَاثِيكَ
وَاحْتَضِنِ البِنْتَ، مَيِّتَةً، قُرْبَ فَصْلِ الخِتَامِ.
سَتَصْرُخُ فِي عَتَمَةِ الأَوْبِرَا:
«هَا هُوَ الهَوْلُ وَالهَوْلُ وَالهَوْلُ» وَادْرِفْ:
«الإِمْ سَتَلْهُو بِنَا الإِلهَةَ
كَالدُّبَابِ؟»
أُنْثُرْ عَلَى مَوْتِهَا صَفْحَكَ المَلَكِيِّ،
وَتَصْفِيقُ إِنْجِلْتِرَا سَوْفَ يَعلُوا
تُحِبُّ الصَّغِيرَةَ حَقًّا وَإِنْ أَنْتِ أَنْكَرْتَهَا.
إِنَّ هَذَا العَذَابَ عَذَابُكَ أَيضًا،
فَلَمَلِمِ ذَوَاتِ المَخَالِبِ
وَالظُّلْفِ
وَالقَرْنِ
وَالكَاسِرَاتِ
وَلَمَلِمِ عَوَاءَ المَسَاءِ
إِلَى النَّارِ إِنْجِلْتِرَا!
لِلجُرُوحِ وَللِوَحْشِ فَلْيَذْهَبِ البُلْهَاءُ!
وَمَاذَا سَتَجْنِيهِ
لَوْ كُنْتَ أَكْثَرَ عَدْلًا وَعَقْلًا؟
لِمَنْ سَتُصَفِّقُ عِنْدِ انْسِدَالِ السِّتَارِ؟
لِمَنْ سَتُصَفِّقُ إِنْجِلْتِرَا كُلَّ أُمْسِيَّةٍ،
وَهِيَ تُحْصِي وَرَاءَكَ مَنْ قُتِلُوا
مُخْلِصِينَ وَمَنْ قُتِلُوا
خَائِنِينَ وَمَنْ قُتِلُوا
هَكَذَا بَيْنَ قَوْسَيْنِ؟

مَن سَوفَ يَحْنِي لِجُمهورِهِ تاجَهُ بِالتَّحِيَّةِ
عند الختامِ

سِواكَ؟

وكلُّ الشُّخوصِ وراءَكَ

في المَشْهَدِ التَّانَوِيِّ

تَضِيغُ مَلامِحِها خَلَفَ تاجَكَ

خَلَفَ الدُّخانُ الأَخيرَ

وَشَعْبُكَ يَتَّخِذُ العِيمَ عِكاظَةً كي يَصيحَ:

«الإمَّ سَتَلْهُو بنا الأِلهةُ

كالذُّبابِ؟!»

١٥/٥/١٩٩٨

إبليس

قال إبليس:
كُلُّ هذه الأذرع المؤمنة
كُلُّ هذه الملايين من الجمرات،
كُلُّ هذا التسديد الصائب،
كُلُّ هذا الرّجم
طوال كُلِّ هذه القرون...
يا إلهي!
ألم أمت بَعْد؟

الوتر

رَجْفَةُ الْوَتْرِ
لِحِظَةِ فِرَاقِ السَّهْمِ،
مَنْ يُفَسِّرُهَا؟
أَسْتَاذُ الْعُلُومِ،
أَمْ قَلْبُ أُمِّي؟

أمطار

الغُيُومُ
أَعْدَقَتْ أَمْطَارَها على الحَدِيقَةِ،
وأيضًا،
على كَوْمِ القُمَامَةِ.
ظَلَّ كُلُّ فِي مَكَانِهِ!

الدَّارُ العتيقة

دَرَجُ الدارِ رُخامٌ،
وَعُبار.
كاميرا المٌخْرَجِ، لَيْلاً، تبدأ
التصويرَ مِنْ أَعلى الدَرَجِ:
جَدُّ هذِي الدارِ، عَكَزٌ، ورشقاتُ سعالٍ،
وانحناءً.
كاميرا المٌخْرَجِ تهبُطُ:
والدُّ الدَّارِ بأذنٍ واحدة.
وبعينٍ واحدة.
كاميرا المٌخْرَجِ تهبُطُ:
هذه الجَدَّةُ؟
عيناها -تقول الكاميرا-
أُخْرَسٌ يشهدُ هَوَلاً،
وَيَكاذُ...
كاميرا المٌخْرَجِ تهبُطُ:
أَبْرَزَتْ جِسْمَ الصَّبِيَّةِ.
لِمَ كَفَّاهَا على أَعلى الرَّجْمِ؟
لَمْ تَقُلْ شَيْئاً،
ولم تَهْرُبْ إلى أَيِّ مَغارة.
كاميرا المٌخْرَجِ تهبُطُ:
ها هو الطْفَلُ القَلِيلُ،
مَنْ، تُرَى، حَمَلَهُ هذِي الكُرَّةُ؟
كاميرا المٌخْرَجِ تهبُطُ:
لُقْطَةٌ واسِعَةٌ،
ليلٌ،
وَحَقْلٌ،
وَحُبُولُ العائِلَةِ،
تَتَلَقَّى، مِنْ جِهاتِ الأَرْضِ،
زَخاتِ الرِّصاصِ.
سوف
تَصْنَهُلُ
وهي تَهوي،
ثمَّ تَهوي
وهي تصهل،
ثم تَهوي

وَتَمُوتُ.
صَرَخَ الْمُخْرَجُ:
أَعْطُونِي النِّهَايَةَ!
أَجْرُ الْمَشْهُدِ:
عَكَازٌ... لَهُ... لَوْنٌ... غَرِيبٌ.
شباط/فبراير ١٩٩٨

«دار رعد»

لِمَنْزِلِ أَصَابِهِ الْجَمَالِ
عُدْتُ، مُتَعَبًا، كَكُلِّ مَنْ يَعُودُ.
جَلَسْتُ حَيْثُ رَنَّ صَوْتُ دَايَةِ: وَلَدُ.
وَقِيلَ،

إِسْمُهُ «مُرِيدٌ».
نَسِيتُ غَيْمَ الدَّهْرِ، لِحِظَةٍ، وَعُدْتُ لِلطِّفْلِ
الَّذِي مِنْ مَهْدِهِ القَوَاطِي
تَاهَ فِي البِلَادِ مُعْرَمًا وَمُرْغَمًا
وَعَادُ.

و«دارُ رعدٍ»،
دَهْرٌ أَقَامَهُ النِّحَاتُ مِنْ حَجَرٍ.
أَلْوَانُهَا فِي دُكْنَةٍ دَائِحَةٍ.
وَبَعْضُهَا ابْتِسَامَةٌ نَجَتْ مِنَ البِكَاءِ.
وَبَعْضُهَا

فِي مَلَمَسِ المِشْمَشَةِ المُعْمَى عَلَيْهَا
مِنْ قِسَاوَةِ النُّضُوجِ.
وَبَعْضُهَا مُلَبَّدٌ وَمَوْشِيكٌ كَالعَيْمِ.
قِبَابُهَا (هَلْ يَكْذِبُ الأَسْمَنُ هَكَذَا؟)
تَحْسِبُهَا عِنْدَ العُرُوبِ مِنْ ذَهَبٍ.

العُشْبُ فِي جُدْرَانِهَا
يُظَنُّ أَنَّ العُرْيَ فِي الجِدَارِ عَارِ
كُهولَةٌ عَنيدَةٌ،
أَمْ حَيْلَةُ النَّدَى لِعَرْضِ شُعْلِهِ الدُّووبِ
عَبْرَ دُورَةِ القُرُونِ؟

وَالعَتَبَةُ،
أَرِيكَةُ الجِدَاتِ.
وَمَنْبَرُ التَّخَابُثِ الرِّيفِيِّ وَالنَّمِيمَةِ.
وَالعَتَبَةُ،

الفرق بين لَذَّةِ العُرُوسِ أَوْ حَيِّتِهَا.
وَالعَتَبَةُ
تَلْوِيحَةٌ لِلنَّعْشِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى نَعِيمِ اللُّوزِ،
أَوْ نَقْمَةِ الصَّبَارِ.

وَالعَتَبَةُ
مُراهِقٌ يَرْتَلُ البَرِيدَ،
أَمَامَ أَمِّيِّينَ يَعْرِفُونَ مَعْنَى الشُّوقِ،

بنظرةٍ على السطور،
ونظرةٍ على كُنوزِ نسوةٍ
يُهمَلْنَها في لحظةِ الإصغاء.
والعتبة
الفاصلُ العسيرُ بين الخابيةِ
والأوبرا.
وبين سكةِ المحراثِ
والألفِ.
والعتبة

طريقنا إلى...

هل قلتُ كانت في الفناء تينةٌ
نُسابقُ الطيورَ نحو
فَجْرها الأعلى من الأذان؟
فُروغها مَسْرَحُنا الصَّيفيُّ
أو مَلادُنا

من سأمِ الأطفالِ من ضيوفِ أهلهم.
مُعْتَمَةٌ مُضَيَّئَةٌ.

وغابةٌ في شجرة!

كنا كَبُرنا تحتها كأثها رُزنامةُ البلدِ
صرختُ صامتًا

وكيف تقطعونها؟

كيف استطاعت أن تموت

مثل أيِّ زهرة

في عروةٍ لمعطفٍ قديم؟

ومثل أي قِطعةٍ على تقاطعِ الطُّرق؟

وهل يموت غيرنا في هذه الأزمان؟

ومن زمان،

حسبتُ أن الموتَ كان اختارنا شِعْبًا لَهُ

هل كان شوقُها لنا قَبيلةً من الفؤوس؟

وهل عَلِمَتْ أن الدُّورَ أهلُها؟

إن غادروها غادرتُ

وأنها لَوامةٌ، وتُنقِنُ العِقاب؟

كما الرضيعُ إن تأخرتُ عليه أمُّه

يصدُّ ثديها بنظرتين:

نَظْرَةٌ/مَجَاعَةٌ

ونَظْرَةٌ/غَضَبٌ؟

فَمَنْ هنا يحتاجُ مَنْ؟

هل يرجع الغريب حيث كان؟
وهل يعود نفسه إلى المكان؟

عَمَّا قَلِيلٍ
سوف يَذْهَبُ التَّعَبُ

يا دارنا،

عما قليلٍ
سوف يبدأ التَّعَبُ.

آب/أغسطس/١٩٩٦

على بَوَابَةِ الْبَلَدِ

لم أتِ وَحْدِي.
كُلُّهُمْ أَوْ دَعَتْهُمْ قَلْبِي.
حَمَلْتُ مَعِي قُلُوبَهُمُ الشَّهِيدَةَ كُلَّهَا
وَرَجَعْتُ رَجَعْتُهُمْ وَقَدْ
فُتِحَتْ لَنَا بَوَابُ الْمَنَى مِنَ الْجِهَةِ الْعَجِيبَةِ!
لم أَقُلْ عُدْنَا
حَمَلْتُ مَعِي تَهَكُّمَهُمْ، وَهَيْبَتَهُمْ،
وَكُلَّ غُيُوبِهِمْ،
وَعُيُوبَ رُؤُوسِهِمْ،
هَشَّاشَتَهُمْ،
وَأَمْسَتَهُمْ بِلِينِ الرَّاحَتَيْنِ لِرَيْشِ دُنْيَاهُمْ
وَدُنْيَاهُمْ تُعَدُّ لَهُمْ مَقَابِرَهُمْ
وَتَعْمُرُهَا هَدِيلاً.
هذا هو الْغَدْرُ الْأَنِيقُ أَنَاقَةَ الْإِنصَافِ
عُدْتُ تَرْجُئِي أَصْوَاتُهُمْ:
«بَوَابَةُ الْأَبْوَابِ
لا مِفْتَاحَ فِي يَدِنَا وَلَكِنَّا دَخَلْنَا لا جِنِينَ إِلَى
مَنَارِلِنَا الَّتِي كَانَتْ مَنَارِلَنَا. وَجِئْنَا
فِي مَبَاهِجِنَا خُدُوشٍ
لا يَرَاهَا الدَّمْعُ إِلَّا وَهُوَ يُوْشِكُ أَنْ يَهِيلَا.»
الْأَسْرُ يُنْقِدُنَا تَمَامًا مِنْ بَدَائِلِهِ
وَحِينَ يَزُولُ نَرْتَبِكُ
ارْتِبَاكَ الْحُرِّ،
حَيْثُ الْكَوْنُ يَغْدُو عُرْفَةً كُبْرَى
وَحُرِّيَاتُنَا مَبْتُوثَةٌ فِيهَا،
كَمَا قَطَعَ الْأَثَاثُ،
تُعْبِقُ حَيْرَتُنَا:
-أَلَيْسَ الْحُرُّ مَنْ يَحْتَارُ فِي طُرُقَاتِهِ؟-
وَأَنَا سَابِدًا مِنْ هُنَا
كَسْفِينَةٍ فَقَدَتْ خَرَائِطَهَا
وَصَارَ مَمَرُهَا الْحَتْمِيُّ فَوْضَاهَا
وَكُلَّ الْبَحْرِ.
لَكِنَّ الَّذِينَ تَرَكْنَهُمْ خَلْفِي
اسْتَمَرُّوا فِي الْبِدَايَةِ
كَلَّمَا حَطَّتْ مَرَاسِينَا هُنَا زَادُوا رَحِيلًا.

هل قلتُ إنّ الذّاكرة..
تحمي من الفوضى؟
سأهمسُ:
أَدْخِلُوا شُهَدَاءَكُمْ فِي الْبِرْلَمَانِ!
فَنَحْنُ فِي وَقْتَيْنِ
مِنْ رَفْصٍ وَيَأْسٍ.
والرسالة، في فُكَاهَتِهَا وفي مَأْسَاتِهَا،
ارْتَبَكْتُ، وَأَرْبَكْتُ الرَّسُولَ.
كَمْ سَيَلَزُمُ كِي أَعِيدَ فِخَاخَ جَدِّي فِي مَوَاضِعِهَا؟
وكيفَ أَعُوذُ الْعَيْنَيْنِ
أَنْ تَتَسَلَّفَا زَيْتُونَةَ رُومِيَّةً
فُطِعَتْ بِفَأْسِ الْآخِرِينَ؟
أَمِنْ ضَوَاحِي الصَّفْرِ نَبْدًا يَوْمَنَا؟
وَكأَنَّا شَعْبٌ جَدِيدٌ
عُمُرُهُ عَامَانٌ؟
مُنْهَمِكٌ بِأَوَّلِ كُلِّ شَيْءٍ؟
إِغْفِرْ لِي.
رَحَلْتِي قَصُرَتْ لِيَزْدَادَ
الطَّرِيقُ إِلَيْكَ طُولًا!
لَمْ يَرْجِعِ الْمَوْتَى مَعِي.
لَمْ يَرْجِعِ الْمَوْتَى وَإِنْ رَجَعُوا مَعِي.
وَهُمْ اعْتَذَارِي (مِنْ ظَلَامِهِمُ الْمَوْبَدِ) عَنْ نَهَارِي
كُلُّهُمْ جَاؤُوا مَعِي
وَوَصَلْتُ قَبْلَهُمْ
لَأَنَّ الْمَوْتَ أَحْرَهُمْ قَلِيلًا.

تموز/يوليو/١٩٩٦

فوق مطار أثينا

حَدَّثْنَا الْيُونَانِيَّ الضَّاحِكُ قَالَ:
يَبْدُو أَنَا صِنْفَانِ بِلَا ثَالِثٍ:
مَهْزُومُونَ عَلَى مَهْلٍ أَوْ
مَهْزُومُونَ بِسُرْعَةٍ،
يَبْدُو أَنَّ خَسَارَتَنَا تَلْمَعُ
كَالْعُمْلَةِ أَيَّامَ الْعِيدِ،
يَبْدُو أَنَا نَنْسَى أَسْمَاءَ الْقَتْلَى
مَعَ إِغْلَاقِ الْقَبْرِ... إِلَى آخِرِهِ...
وَأَضَافُ:

قُلْنَا: «يَبْدُو»

وَأَضَافُ:

اسبارطا مانتت.

حَدَّثْنَا الْيُونَانِيَّ الْبَاكِي قَالَ:

فِي ذِكْرِ الْمَوْتِ

خُذُوا فُرْصَيْنِ حَيَاةً، وَابْتَسِمُوا!

وَأَضَافُ:

اسبارطا مانتت.

حَدَّثْنَا الْيُونَانِيَّ الضَّاحِكُ وَالْبَاكِي،

قَالَ:

فِي أَعْلَى الْيَأْسِ

خُذُوا زَاوِيَةً وَابْتَسِمُوا!

وَأَضَافُ:

اسبرطا مانتت.

كُنَّا فَوْقَ مَطَارِ أَثِينَا

وَمُضِيوُنَا الْيُونَانِيَّةُ تَحْنِي قَامَتَهَا بِالْقَهْوَةِ،

- كَيْفَ هَزَمْتُمْ اسبارطا يَا بِنْتَ النَّاسِ؟

- لَا أُدْرِي. لَا أَدْكُرُ

نَحْنُ قَرَأْنَا أَيَّامَ دِرَاسَتِنَا

اسبارطا مانتت.

وَلِمَاذَا يَعْذِيبُكَ الْأَمْرُ؟

مَا رَأَيْتُكَ فِي الْقَهْوَةِ؟

٣/٥/١٩٩٨

مَلْهَاءُ السَّاعَةِ الرَّمْلِيَّةِ

وظيفته السقوط من الأعلى

رملٌ هذي الساعةِ الرمليةِ

المحبوسُ فيها،

وهي، مذ كانت، حبيسةً حالها ورمالها.

سيواصلُ الراوي حكايته المُملة ذاتها:

جاءوا من الصحراءِ

واندفعوا على الصحراءِ

بين الأزرَقينِ

كأنهم عثروا على عُصنِ الحياةِ الحيِّ

في أطلالها.

خاضوا سباقَ الرَّمْلِ حتى مُنتهاهُ

أتوا

بِوَعْدِ عَلموهُ ركوبَ ظَهْرِ الخَيْلِ،

رَنَّ شرارُهُم، رَمَحُوا

إلى الأعلى، هُنَاكَ

كأنما رَفَعَ الإلهُ الشمسَ

حتى ترتقي شِبرَيْنِ

عن جبهاتهم

وكانهم صاروا شِفاءً للزمانِ

من الإقامةِ

أو شِفاءً الأرضِ

من ترحالها

ثم انتهوا من واسعِ سرحِ

وَمِنْ شَرِّقِ الوعودِ لِعَرْبِهَا وَرَوَالِهَا

إن لي جَسَدًا خَفِيًّا

لا يُطِيقُ نشيدَهُ.

نحن انتهينا هكذا

قَصَصٌ يدورُ بها جليلٌ أَبْكُمْ.

عَلَقْتُ رِوَايَتُنَا على وَتْرِ الرِّبَابَةِ

ها هي الدُّنْيَا

تَسِيرُ، بِعَيْرِ رِفْقَتِنَا، إلى أَشْغَالِهَا.

نيسان/إبريل ١٩٩٨

لَيْلَةٌ مَجْنُونَةٌ
القاهرة ١٩٩٦

ساعي البريد

جُعبَةٌ ناضجةٌ
والرّسائلُ فيها مرتّبةٌ.
وإذا الشمسُ في أوّلِ العمرِ
ينتظرُ الريفُ خطوتَهُ
والرسائلُ، هذي سيقراها سيّدُ الدارِ،
لكنّ تلكَ، سيقراها للعجوزِ
التي أجلسنّه إلى الشاي.
مُصغيةً بالجفونِ.

.....
صرتُ ساعي بريدُ
الرسائلُ في جُعبتي
والعناوينُ مطموسةٌ،
لستُ أدري لمن سوف أُصلّها
ثم لا باب ينتظرُ الآن دقاتِ قلبي
ولا أحدٌ يرتجي خطوتي
غير أني أشيلُ على كتفي جُعبتي
وأوصلُ هذا الطوافِ.

١٩٩٤ / ٩ / ٢٦

المنزلُ الغريب

دخلتُ إلى منزلي، لم أكنُ مخطئاً
الأثاثُ الأليفُ اختفى كُلُّهُ
والأراجيحُ مصفوفةٌ ككراسي العزاءات تهتزُّ
في كلِّ ركنٍ
وفيها أبي زوجتي إخوتي وبناتي
وجدِّي الذي شابَ حاجبهُ حكمةً
يميلون مع مِيلها كيفَ مالتُ
سُكاري أجلاءً،
أذرعُهُم ساقطتُ على الجانبين
ويحجبهُم عن وقوفي فراغُ العيون
ويشغلُهُم عن ذهولي اندهالُ
أبقي؟ أمضي؟ أطردهم كُلَّهُم
أمُ الألسنُهم في حنانِ الممرِّضِ؟
أمُ أنزوي باكياً عالمي كُلَّهُ
أمُ أدبِّرُ أرجوحةً أتكوِّمُ فيها
كما يفعلونَ جميعاً
وألقي ذراعي على جانبي في استكانةٍ ميّتِ؟
وما كان موتاً ولا هم بموتى!
ولكنهم ميّلُ الوقتِ قاماتهم ثم مالوا!
أبي، إخوتي، كلُّ أهلي
إذا الأهلُ أنتم سأكبي طويلاً
وإن خدعتني عيوني وكنتم سواكم
وكنتم بعيدين عن كُلِّ هذا،
تعالوا!

ذاكرة النمر

أَيْكُمْ يَعْرِفَنِي يَا أَصْدِقَائِي
أَيْكُمْ يُصْغِي لَصَمْتِي فِي ضَجِيجِ الْفُرْجَةِ الْكَبِيرَى
وَمَنْ يَدْرِي بِمَا فِي خَاطِرِي
وَأَنَا أَمْشِي وَحِيدًا
وَبَسِيطًا مِثْلَ نَمْرٍ يَتَمَشَّى خَلْفَ قُضْبَانِ
الْحَدِيقَةِ؟

أَيْكُمْ يَعْرِفُ، مِنْ هَيْئَةِ هَذَا الْمَشْهَدِ الرَّاهِنِ،
مَا ظَلَّ مِنَ الذِّكْرِى بَقَلْبِي وَحَفِيفِ الذَّاكِرَةِ
أَيْكُمْ يُدْرِكُ
أَنَّ الْغَابَةَ الْمَحْذُوفَةَ الْآنَ مِنَ الْمَشْهَدِ
لَمْ تَتْرُكْ مَسَامَاتِي وَمَا غَابَتْ دَقِيقَةً
أَيْكُمْ يُدْرِكُ

أَنَّ الْحَارِسَ الْمَشْغُولَ بِالزَّهْوِ وَبِاطْمِنَانِهِ
لَا يَذْكُرُ الْمَاضِي الَّذِي قَدْ كُنْتُهُ أَوْ كَانَهُ
قَبْلَ الْقَفْصِ

يُضْحِكُ الْحَارِسُ، يَسْتَلُّ الْعَصَا مِنْ إِبْطِهِ
وَيُدَلِّي كَفَّهُ مَا بَيْنَ فَكِّي بِإِهْمَالٍ
وَيَحْنِي جِدْعَهُ لِلْمَالِ وَالْإِعْجَابِ
وَالدَّهْشَةِ تَعْلُو الزَّائِرِينَ
قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلُوا لِلْفُرْجَةِ الْآخَرَى
عَلَى بَيْتِ النَّسُورِ الرَّاقِدَةِ
بَيْنَ ذِكْرِى قِمَمِ الْغَيْمِ
وَقُضْبَانِ الْحَقِيقَةِ.

الهادئ

قد أبدو وُلداً يَحْبَلُ مِنْ مِرَاتِهِ
أَوْ جَارًا يَتَرَدُّ فِي طَرَحِ «صَبَاحِ الْخَيْرِ» عَلَى الْجَارَةِ
أَوْ تَلْمِيذًا يَعْرفُ
لَكِنْ لَا يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ لِيَجِيبَ
أَوْ عَصْفُورًا لَا يَتَسَابَقُ مَعَ شَاحِنَةِ الْأَوْغَادِ.
سَاعَتَهَا
سَيْسَاءُ بِي الظَّنِّ وَسَاعَتَهَا
سَابَاغَتْهُمْ
أَنِي قَدْ أَفْتَكُ بِالْجَارَةِ حُبًّا
وَأَجِنُّ أَسْتَاذَ الصَّفِّ
وَأُخْفِ شَاحِنَةَ الْأَوْغَادِ وَرَائِي...
وَأَطِيرُ.

١٩٩٤ / ٤ / ٢٠

قصيدة الرجل الجميل

في شِرِّ عَتِهِ
العالم ليس حراماً وحلالاً
بل قبحٌ وجمالٌ.
ولهذا يتبعُ جنوناتِ القلبِ
ويخطئُ ويُصيبُ.
مبهوراً أبديُّ يكرهُ أن يتعوذَ.
تتفقُ عيناهُ الأسئلةَ الأولى
كنبيِّ سَهْرِهِ الشَّكِّ.
لا يمتدحُ الأقوى،
والكلماتُ لديه معانٍ، لا لمعانٍ.
قتاَصُ فُكاهاتٍ
وله شغبٌ تتخرمشُ منه أساساتُ مدينتِهِ
ووفيرُ الأعداءِ.
ولأنَّ الضحكَ على النكتةِ إقرارٌ بالراوي
لا يضحكُ وغدٌ من نكتتِهِ.
ولأنَّ الثرثرةَ عُبارٌ فوقَ زجاجِ الناسِ
يحمي مُتَحَفَهُ المتألقَ في داخلِهِ، بالصمتِ.
في الفرصةِ،
يُبعدُ كَثْفِيهِ عن المسعورينَ ذوي اللَهْفَةِ.
في السَّهْرَةِ،
سيِّدُها، لكنْ يحرصُ أن لا يبدو.
في السَّجَنِ،
يلمُّ القَشَةَ تلوَ القَشَةِ
كي يبني أعشاشَ طيورٍ لا يعرفُها
في المَرَاةِ
رجُلٌ يُعنى برجولتِهِ وأنوئتِهِ
ليكونَ جديراً بالحبِّ.

امراة

نضجت على قلق الحياة وفي المضائق.
تتعب الأقدام والأجفان
سيدة على أقدارها
وتكاد تلهو بالصعوبة، ثم
تنسى كل ما ينسى إذا ارتعشت
وتذكر كل شيء وهي تعلم أنه
لا شيء يحجل من أوانه.
ترمي قميص النوم في فرح وتخرج منه
لافا!

لا مراهقة تلاطف بالدمى أو بالكلام
ولا تثير شراة المرأة زينتها
وتعرف كيف تجعل عاشقا يبكي ويضحك
وهي لا جد ولا هزل
وأعظم ما يزين ذكاءها
جسد به حرق عظيم
عال كفاكهة البراكين البعيدة،
ورطة حلابة،
ولها المشيئة دائما لكنها
تدري حلاوة أن تسلم كل قلعتها
وأحيانا تسوسك كي تساس على هواها!
هي حرة أو عبدة حسب الهوى
وتريد لذتها مذاقات وإصغاء ورائحة ولمسا
ثم تفرك عينها حتى تراها
وترى صباحا، داخل المترو، وفي يدها الكتاب
بها غنى عن كل مرني وراء،
رهدها لوم جميل
وهي تشبه كل امرأة
ولا تبدو كأن الله لم يخلق سواها!

القُبلة الأولى

لا مساميرَ على الكفّين
لا إكليلَ شوكٍ مائلاً في نعمة التسليم
لكنّ الصغيرة،
مثلما يذكُرُ ناسٍ موعداً كاد يضيغُ،
فَطِنْتُ للجَسَدِ المنسيِّ في الفستانِ فجأةً
عندما مسَّتْ، بحبِّ، شفتاها شفةَ الشيطانِ
وانشَقَّتْ على ثوبِ الملاكِ.
رِعةُ أولى تلتها رِعةُ
في شحمةِ الأذنِ وفي السَّاعِدِ والثديينِ
والروحِ وأقواسِ الأظافرِ...
يا إلهي! كيف رَنَّ البرقُ فيها هكذا!
لم تعد أيقونةً في مُتحفٍ رطبٍ
وصارت امرأةً.

بين ما ترجو وما يُرجى لها
بين عُري القُبلةِ الأولى وكتانِ القبيلةِ
نصفُها في كلِّ نِصْفٍ، كُلُّها في الإرتباكِ
عندما ألقَتْ على صدرِ الفتى أوصافَها
مكشوفةِ الروحِ تماماً
رَسَمَ الضوءُ على الحائِطِ ظِلًّا كالصليبِ
ومع العتمةِ رَفَّتْ بذراعَيْها
وطارت فوق أغصانِ السماءِ.

النائمة

كُتِبَها الذي تركته بعد قراءة الليل،
مقلوبًا ومتباعدَ الجهتين، كخيمة،
نظَّارتُها، منفضةُ سجائرِها،
وإرهاقُها الذي خلَّقتهُ في الغرفة،
كظلالِ مصباحٍ نسيَتْ أن تُطفئهُ قبل النوم،
شريطُ الأسبرينِ الأخضر،
ناقصًا أربعةَ أقراص،
ومناوشةُ جوارنا الليليِّ التي
حَتَمَناها بتراحمٍ وارتباكٍ،
وظلَّت مُعلَّقةً في غموضِ الفجر،
الذي سيمرُّ الآن من العتمةِ إلى الشمسِ،
كلُّ هذا
أخضَرَها أمامي بعتةٍ
بحيثُ لم أُصدِّقْ
أنها ما زالت نائمة!

١٩٩٥ / ١٠ / ١٥

على درج المكتبة

مُتَحَيِّرَةٌ
وأنا أصونُ غموضَ قلبي
فالتقينا.

.....
لا نريد لما جرى إسمًا
ولا عنوانُ ما ذقناه يعيننا

.....
كأننا قد مَنَحْنَا الكونَ
أولَ حيرةٍ في الكونِ
لم نُخَلِّقْ لمحضِ إضافةٍ أُخرى

.....
تركنا إسمَ لحظتنا بلا إسم:
كأنَّ البحرَ أذهشَهُ من المرجانِ لونٌ لم يَمُرَّ بهِ
وأسمائكُ تَنُطُّ كأنها تخشى وضوحَ الماءِ
ساعاتٌ يتوه الوقتُ في مينائها المخدوشِ
فوضى في طريقِ المركباتِ،
ولا نظامٍ سوى صِدَامِ المَعْدِنِيِّينَ
بناره وشراره، نخشاه؟ لا نخشاه
بل نسعى إلى تكراره.
صمتٌ كموسيقى أضغنا إسمَ كاتبها،
ولم توجد. ولكنا سمعناها
كأن كلامَ هذي الأرضِ لم يُكْتَبْ ولم يُعْرَبْ
عَبَّئْنَا بالوضوحِ كأنه ما كان، لم نُفْصِحْ
ولم نَحْزَنْ ولم نَفْرَحْ
وكلُّ عجيبةٍ عادتْ لعادتها.
كأنَّ حَقِيقَةَ الإنسانِ وَرَطَّتُهُ
كأنَّ الأرضَ عادتْها الزلازلُ
والسماءَ مِظْلَةٌ بيضاءٌ لا تحمي معاطفنا
من البَلَلِ البَدِيعِ ولا تردُّ الشمسِ
عن كَهْفِ من الشهواتِ يلمعُ بأبه.
ما حاجةُ الأسماءِ للأسماءِ!
نحن الآن منذ اليوم، ذاك اليوم
نعرفُ في ملامحنا ملامحنا.
شعورُ الناسِ مُخْتَلَفٌ كَبَصْمَتِهِمْ
وَوَرْدَتْنَا -خِلافَ الوَرْدِ- وَرَدَّتْنَا.

كأنا أول القصص التي فاضت عن المعنى
سننعم في تجاهل اسم ما نحياء
كي نحياء
مُنْدَهشِينَ مُرْتَبِكِينَ
كالأطفال -نُْمسِكُ دَيْلَ حَبْرَتِنَا
وَنَتَّبِعُهُ إِلَى مَا شَاءَ أَوْ شِئْنَا
كأنا، عكس كل الناس،
إن كان اليقين دليلاً،
تُهنأ.

١٩٩٤ / ١١ / ١٦

الحفلة

أسعى لأقْرصَ بهجةَ الأيامِ
من غمَازةِ الخدَّينِ.
ألمسُها وتلمسُنِي وأهْرُبُ وهي تَلحُقُنِي
فأسرُخُ في تخابُثٍ من يفضِّلُ أن يفوزَ حبيبهُ
وأحبُّ لو أنِّي هَجَزْتُ ضرورتي
ولمستُ شيباكِ المُلدَّةَ
مثلَ صوفيٍّ على أكتافِهِ وَبِرِّ اليقينِ وصوفُفُهُ،
عشبُ المسرَّةِ ملعبي
وأنا عليه حَرُوفُهُ.
وأودُّ لو أرمي هُمومي في الهواءِ
كطابئةٍ، فتظلُّ عالقةً هناكِ،
وأن أنطَّ مباحثًا سَهَرَ العجائزِ في القرى
ولذا لَعوبًا أرْعنا.
أسعى لعشقي يجعلُ البنْتِ الخجولةَ
كسنتاءٍ فوق موقِدِ شهوتي
فتلوذُ منه بأي شيطانٍ رؤوفٍ
ثم تهربُ باتجاهي
وهي تعرفُ أنني حَبَّأتُ في جسدي لها
مُدُنَ الملاهي / نزهةَ الخطرِ / الكهوفِ الواسعاتِ
وشهقةَ الرُّعبِ اللطيفِ
وبيتِ أسرارٍ يُدَوِّخُ، يَلْقُطُ الأنفاسَ،
سوقَ نهايةِ الأسبوعِ في جسدي
وصمتُ المكتباتِ وحُمقُ ثرثرةِ المقاهي
حِكْمَةُ الرُّهبانِ والمستهترينِ
كأنني الولدُ العجوزُ ولا يجوزُ عَلَيَّ حُكْمُ الناظرينِ
وكلِ ضِدِّينِ استقاما فيَّ
أصبحُ غيْمَةً حينًا، وحينًا مَعْدِنًا.
أسعى إلى امرأةٍ تحبُّ معي فضيحتها
وأرغبُ أن أكونَ فضيحةً معها
وملءُ قلوبنا هذا الوقارُ الفدُّ
معبدُنا الخصوصيِّ الذي
لا شأنُ للدنيا بهِ
وكأننا
بهوٌ يضاءُ بضوءِ أيقوناتِهِ.
والصمتُ فينا

صمْتُ راعيةً تراقب فوق تلتها الشياة
وقد نصيحُ

مُرْدِينِ قِصَائِدِ الإِغْرِيقِ.
أَوْ تَنْجُنُ فِينَا كُلَّ دَنْدِشَةِ الْمُعْنِيِّ فَجَاءَهُ
وَالشَّمْسُ تَلْمَعُ مِنْ خُرُومِ التَّنْتِنَا
وَأُودُ لَوْ أَوْقَفْتُ بَنْدُولَ ارْتِبَاكِي مَرَّةً
وَجَعَلْتُ أَسْئَلْتِي أَدَقَّ
فَهَلْ تَبَصَّرْتُ الْمَتَاهَةَ
عِنْدَمَا أُدْجِلْتُهَا

أَمْ أَنَّنِي لَمْ أَنْتَبِهْ وَدَخَلْتُهَا طَوْعًا
وَهَلْ أَحْبَبْتُ أَحِبَابِي عَلَى كَيْفِي
وَهَلْ خَاصَمْتُ أَعْدَائِي بِمَا يَكْفِي
وَهَلْ عَاتَيْتُ مِرَاتِي
عَلَى كِتْمَانِهَا عَنِّي عِيُوبِي
هَلْ جَبَنْتُ؟

وَهَلْ تَجَبَّيْتُ الصَّعُوبَةَ بَعْضَ أَحْيَانٍ
وَهَلْ تَعَبْتُ عِظَامِي مِنْ مِرَامِي
فَأَنْتَقَيْتُ الْأَهْوَنَا؟
وَأُودُ لَوْ أَنِّي أَهَاجِرُ
مَنْ فُرِّي

وَقَعْتُ نِبَاعًا فِي فِخَاخِ عَدُوِّهَا
وَتَقَنَّيْتُ فِي كُرْهِ لَدَّتْهَا
وَعَيَّرْتُ الْمَعَانِي
وَأَدَّعْتُ
وَتَعَوَّدْتُ

وَأُودُ لَوْ وَرَثْتُ مِفْتَاحًا
لِأَوْلَادِي، بِجَانِبِ كَوْمَةِ الْأَقْفَالِ
حِينَ رَمَيْتُهَا فِي جِجْرِهِمْ
أَوْ سَفَّتُ ثَوَارَ الْغُبَارِ إِلَى مِرَايَاهُمْ
وَلَوْ أَنِّي أَدَبْتُ الصَّوْتِ
فِي سَمْعِ الْبِلَادِ بِمَا أُرِيدُ
وَأَكْسَرَ الْحَدَرَ الَّذِي أَتَقَنَّتُهُ
وَأَفَاكُ دِرْعَ مَخَاوِفِي لِيَمِرَّ
وَحَزُّ الرِّيحِ تَحْتَ عُرَى قَمِيصِي
لَا دَرِيئَةَ، لَا تَكْتُمُ، لَا قِنَاعَ
وَأَطْلُبُ الدُّنْيَا وَأَذْهَبُ
حَيْثَمَا شَاءَتْ خُطَايَا

مُؤَمَّنًا وَمُؤَمَّنًا
لكنني من آخر القرن المهيباً للرحيل
يقيم في العالم العربي حفلة بؤسبه
وأقيم فيه
ولي رجاءاتي ويأسي
لي خدوش يدي هدمًا
أو بناءً.
راغب في عشقه
أو راغب في حرقه
لافضل لي، لكنني
عاري ومجدي كله أني هنا.
عاري ومجدي كله أني هنا.

كل من يطفو

لا يحبُّ البحرُ أن يُوتى
كشيءٍ قد فرغنا منه.
لا يعجبُهُ اطمئنانُ قُبْطانٍ
لرِدِّ الفعلِ من جانبه.
لا يحبُّ البحرُ أن يأمنهُ
كلُّ من يطفو على موجاته الحلوةِ
أو ينسى ولو حتى للحظةِ
أن ما يكتمه في صمته جزءٌ من البحر كذلك
ولهذا
اخترع البحرُ لمن قد يستهينون بهِ
فكرةً مألوفةً جدًّا ولا أبسطَ منها:
ألغرق!

١٩٩٤/٤/١٣

الحصان

من تَلَّةٍ بيضاء يهبطُ
عُرْفُهُ المَبْتُلُّ يلهثُ
والعجيبَةُ أن تعودَ الخيلُ غاضبةً
وساهمةً معًا
وتكونَ هالكةً وتزدادُ انتباها.
يسعى ويسعلُ
يا إلهي!

نحن كنا إن همزناه اختفى في لمحتين
فلا يرى إلا خيالًا واشتباها
مُتَرَفِّعٌ. وكأنه، فيما يظنُّ، هو الأميرُ
ويحسبُ الأمراءَ خيالًا عندهُ
وكانه، ومن الطفولة، إن تعتَرَ
قد يموتُ من الحياءِ والاعتذارِ كإبنِ آدمَ
ثم يرمحُ مرَّةً أُخرى
فيخمشُ غنمةً ويجوزُها
وكانه أكلوبةُ الرومانسِ
صارت حافرًا ومدى، وتلمسُ
أو جلاميدُ امرئِ القيسِ التي كرتُ وفرَّتُ
في صباها

يسعى ويسعلُ؟!
يا إلهي! كيف يكتهلُ الفتى بلمحةٍ
أم أن كلَّ خسارةٍ تعني اكتهالاً في الزمان؟
مهلاً! وأجلُّ دمة العينين، حاول مرَّةً أُخرى
ولا تسفُطُ تمامًا يا حصان!

علما خشبة المسرح

صخبٌ وموسيقى وحفلٌ راقصٌ
في مقبرة.

موتٌ وقهقهةٌ هنا

صمتٌ وراياتٌ مُزوّقةٌ هناكُ

رَكْضٌ ولكن لا مسافةٌ للخُطى

زغرودةٌ ترتجُ في وادي الهلاكِ

المُخْرَجُ الأعمى يديرُ لنا مَشَاهِدَنَا العجيبةَ:

هملتُ المجنونُ دَسَّ السُّمِّ في ليلٍ لوادِه!

وأفيليا البدينةُ عاهرة!

وتقصفتُ في البرقِ أشجارٌ بلا ثمرِ

وبين جذوعها تعلو المشانقُ مُثمرة.

ما أجمل التانجو هنا!

بين الشواهد والأهلةِ والسُّكوتِ

أيموتُ مَنْ تحت الترابِ لأنهم رقصوا على أشلائه؟

أم يَرْقُصُ الجَمْعُ الجبانُ لأنَّ أشجعَهُم يموتُ؟

المشهد العبثيُّ طال بنا وطالَ

وَمَرَّ قاتلنا فملنا نحوه

وكاننا ذنْبٌ يميلُ على أيادي المغفرةِ

هي ليلةٌ مجنونةٌ

صَخَبٌ وموسيقى وحفلٌ راقصٌ في مقبرة

عبيّاً نحاولُ أن نُصوِّرَ هذه الملهاةَ مأساةً

فأين جلالها؟!!

هاتوا ثيابَ المَسْحَرَةِ!

١٩٩٥ / ١٠ / ٢٢

لا مشكلة لدي

أتلَّمَسُ أحوالي ... لا مشكلة لدي.
شكلي مقبولٌ. ولبعض الفتيات
أبدو بالشَّعر الأبيض جذابًا.
نظاراتي متفنةٌ
حرارةٌ جسمي سيحٌ وثلاثونَ تمامًا
قميصي مكويٌّ وحذائي لا يؤلمني
لا مشكلة لدي.
كقاي بلا قييد. ولساني لم يُسكَّتْ بعدُ
لم يصدر ضدي حكم حتى الآن
ولم أُطرَد من عملي
مسموحٌ لي بزيارة من سجنوهم من أهلي
وزيارة بعض مقابرهم في بعض البلدان
لا مشكلة لدي.
لا يدهشني أن صديقي
أنبتَ قرناً في رأسه.
وأحب براعته في إخفاء الذيل
الواضح تحت ملابسه
وهدوء مخالبه يعجبني.
قد يفتك بي، لكني سوف أسامحه
فهو صديقي
ولهُ أن يؤذيني أحيانًا
لا مشكلة لدي.
ما عادت بسماتٌ مذيع التليفزيون
نُسبَ لي أمراضًا.
وتعوَّدتُ على توقيف الكاكيين لألواني
ليلاً ونهارًا. ولهذا
أحملُ أوراقِي الشخصية حتى في المسبح.
لا مشكلة لدي.
أحلامي رَكِبْتُ، أمس، قطارَ الليلِ
ولم أعرف كيف أودَّعها
وأنتني أنباءٌ تدهوره في وادٍ
ليس بذِي زرع
(ونجا سائقهُ من بين الركَّاب جميعًا)
فحمدتُ الله، ولم أبكِ كثيرًا
فلديّ كوابيسٌ صغرى

سأطوّر ها إن شاء الله إلى أحلامٍ كبرى
لا مشكلة لديّ.

أتلّمسُ أحوالي منذ وُلدتُ إلى اليوم
وفي يأسٍ أتذكّرُ

أنّ هناك حياةً بعد الموتِ
ولا مشكلةً لديّ.

لكنّي أسألُ:

يا الله!

أهناك حياةٌ «قَبْلَ» الموتِ؟

١٩٩٥ / ٧ / ٣

صامتًا

مثلَ المُعزِّينَ القدامى

مُطرقًا

كشجيرة الصنصافِ

مأخوذًا بأجراسي وما يخفيه قلبي عن لساني

لم يعدْ مُستنطَقًا مَنِّي سوى عَيْنِي

لكِنِّي غفوتُ

وكانَ هذا لا يليقُ، فجلسَةُ الجدَلِ

استمرَّتْ.

والرفاقُ الواصلون تَفَنَّنوا

في شرح كلِّ يقينِهِمْ، واسترسلوا..

.....
وكانَ هذا الكونَ أعطاهم مخدَّاتِ الحقيقةِ

ثم أسلمني، وحيدًا،

للأرق.

١٩٩٥ / ١٠ / ٢٥

شكرًا لمن كذبوا عليّ

شكرًا لمن كذبوا عليّ
شكرًا لما سأطلُّ أجهلُهُ!
شَقِيئَتْ حواسِي الحَمْسُ مِمَّا أدركتُهُ
فكم حقيقة
يتحمَّلُ الإنسانُ في الدنيا؟!
تعال إليّ يا نسيانُ
واجرخني،
لأنسى ما عَلِمْتُ، كفى حقائق، يا إلهُ
ويا مُصَوِّرُ يا عَدُوُّ ويا حبيبُ
ويا إِذاعةً يا طبيبُ
أريدُ صمًّا كاملاً لا صوتَ فيه
أريدُ معجزتي صغيرًا حيث
عودٌ مهملٌ أو عجمةُ الزيتونِ أو
تنميشةُ العنَّابِ أو
حَجَرٌ لَهُ لَوْنٌ
يُلوِّنُ نشوتي زَمَنًا
وأحسبُهُ مكافأةَ الزمانِ
أنا طفولةُ كلِّ أسئلتِي
وتكتهلُّ الإجابةُ كلِّما حَدَّثْتُ فيها
وهي تنظرُ من عَلٍ
وتُهينُ كلَّ تحيُّري
هي قاطعُ الطرقِ الذي جعلَ المدينةَ خُلفَهُ
وأمامنا
فتأبَّدتْ وهَمًّا وحُلْمًا
لم تعد جَسَدًا يُجسِّدُنَا
سيقصفُ عمرًا التجريدُ، عفوَك
نحن نولد في سؤالِ حولِ معنى
ثم تفتلنا المعاني.
وأريدُ معجزةَ الغموضِ
تحلِّ في هذا الوضوحِ / الذنْبِ
في هذا الوضوحِ الذنْبِ
كم، يا مورثَ الكونِ انتباهتُهُ، انتبهتُ
فكن كريمَ الكفِّ واهمِلني
وَدَعني مستريحَ الوجهِ واليدِ واللسانِ
سأطوفُ بالمصباحِ

أبحثُ عن بهاء الجهل بالأخبار والأسماءِ
أرمني ما اكتسيت من المواعظِ
مثلما أرمني الملابسَ في زوايا غرفتي
قيل الرحيل إلى سكون النومِ
لست أريد دمعكم
فقد بلّغتُ عيوني حكمةً
تكفي لأبكي مَنْ بكاني
يا مورثَ الكون انتباهته أعني
اكنم الأسرار عني
كم سمعتُ وكم رأيتُ. فقط أعني
يا مورثَ الكون الوضوحَ
لقد غدوتُ من الوضوح كما تراني!
شكرًا لمن كذبوا عليّ

١٩٩٥ / ١٠ / ١٠

الصوص

لم أكن نائمًا، ولهذا أتوا
من شبابيك صحوي وليلي
ولم أدر مقصدَهُمْ كُلَّهُ
ولم أدر مقصدَهُمْ كُلَّهُمْ
قلتُ كيف التقوا هكذا؟
عدوي وجاري وحرّاس بيتي وأهلي؟
وفي كسرةٍ من بصيصِ الزجاج
كأنّي لمحتُ بصُحْبَتِهِمْ ملمحي ذاتهُ
واصطدمتُ بظلي!
هنا، في مساءٍ تخطّ معناه، مرّوا
على الطاولاتِ، الرسائلِ،
ما في الخزائنِ، أوراقِ عمري، نقودي
وعكازِ جدّي وفوضاي
... لم ينهبوا أيّ شيءٍ
وحين اختفوا، ظافرين، تفرّستُ حولي
على حاله كلُّ شيءٍ إذن
على حاله كلُّ شيءٍ هنا
ولم ينهبوا أيّ شيءٍ من البيت إلا أنا.

١٩٩٥ / ٦ / ٢٧

قصائد الصنم

١- المشورة

صَنَّمْ رِخَامِيَّ أُصِيبُ بِخَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَوْمًا
دَعَانَا، فَاْمْتَلْنَا تَحْتَ شِرْفَتِهِ الرُّخَامِ.
وَبَدَا حَزِينًا رَاعِشَ الْكَفَّيْنِ
مَذْ قَالَتْ لَهُ عَرَّافَةٌ عَجْمِيَّةً
«سْتَمُوتُ إِنْ لَمْ تَسْتَشِرْ أَحَدًا»

تتحنح

ثُمَّ نَقَلَ بَيْنَنَا نَظْرَاتِهِ ...
كَدْنَا نُصَدِّقُ أَنَّ فِينَا مِنْ سَيُّمَنْحُ فِرْصَةً
لِلنَّطْقِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ أَلْفِ عَامٍ ...
فَإِذَا بِسَيِّدِنَا الصَّنَمِ
يَسْتَلُّ مِرَاةً، وَيَرْفَعُهَا، وَيَنْظُرُ
ثُمَّ يَسْأَلُهَا
فَتَنْطِقُ بِالمَشُورَةِ، ثُمَّ يَشْكُرُهَا،
وَيُكْسِرُهَا،

مَخَافَةً أَنْ يُعَوِّدَهَا عَلَى حَقِّ الْكَلَامِ!

١٩٩٤ / ٢ / ٢٦

٢- الرحيم

الصنم

زِيَةُ الْعَسْكَرِيِّ

فَصَلَّتْهُ الْمَعَارِكُ طَبْعًا

وَفِي يَوْمٍ عَطَلَتْهُ يِرْتَدِيهِ

فِي زِدَادٍ طَوَّلًا مَعَ الْقُبْعَةِ

لَا سَوْفُوكَلِيْسَ يِرْقَى لِإِلْهَامِهِ

لَا وَلَا يَجْرُو الْغَيْمُ أَنْ يَشْتَهِي مَوْقِعَهُ.

ذَاتَ مَعْضَبَةٍ أَعْمَلَ السِّيفَ فِيمَنْ عَلَيْهِ

وَحِينَ اسْتَفَاضَتْ حِمَاسَتُهُ

أَعْمَلَ السِّيفَ فِيمَنْ مَعَهُ!

وَلَكِنَّهُ وَهُوَ يُلْقِي خَطَابًا لَهُ فِي الصَّبَاحِ

بِكِي صَادِقًا

حَيْثُ لَمْ يَبْقَ مِنْ قَوْمِهِ

أَيُّ حَيٍّ لَكِي يَسْمَعُهُ!

١٩٩٤ / ٢ / ٢١

٣- إجازة في أوروبا

صَنَّمْ يَسُوقُ عَلَى رِمَالِ الْبَحْرِ أَرْبَعَ نَسَوَةٍ
يُصْنَعِي لِأَلْحَانٍ مِنَ الصَّحْرَاءِ فِي سَمَاعَةِ الْأُدُنِيِّينِ.

كان مُلَوَّنًا

بقميصه البحريّ والشورت المزرکش من هاواي
النخل محنيّ على أكامه
الشمس طالعةً على أكتافه
الصدْرُ رسْمٌ شِفاهُ أنثى
تستعدُّ لكي يُقبَلها الهواءُ.
والظَّهرُ رسْمٌ فيه كأسٌ نبيذٍ امتدت لها كَفٌّ
لِتَلْمِسَهَا، وفي الكأسِ انحناءٌ...
صنم تهبُّ الريح خلف خطاهُ
تُبْرِزُ إِلَيْتِيهِ بِقَدْرِ حَجْمِهِمَا
ويسحبُ خلفه زوجاته، مرِحًا
وهنَّ مُغْلَفَاتٌ بالسَّوَادِ
من النَّقَابِ إِلَى الْعِبَاءَةِ وَالْحَقِيبَةِ وَالْحِذَاءِ!

١٩٩٤ / ٢ / ٢٤

٤- رأس الزرافة

صديقي المرنُ

صديقي الذي لآمني أنني ساكنٌ سجنٍ قلبي
وأسهبُ يُقْنَعُنِي بِالتَّنْقُلِ بَيْنَ الْفُرْصِ
ودار على كعبه كيفما شاء
نحو اليسارِ ونحو اليمينِ ونحو الوراءِ
أُيرضِي بِرَقِصَتِهِ مَنْ رَقِصَ
وظلُّ يُحَكِّجُكَ جَنِيْبِهِ فِي كُلِّ سُورٍ
ويُلْقِي مَوَاعِظَهُ وَهُوَ يَرْمِقُنِي مِنْ عَلٍ
صديقي المرنُ

هو رأسُ الزَّرَافَةِ

حُرٌّ، يُنْقَلُ قَرْنِيْهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةِ

غَيْرِ أَنْ الزَّرَافَةَ مَحْبُوسَةً فِي الْقَفْصِ!

١٩٩٤ / ٢ / ٢٥

٥- الوسام يرتجف

الصنم الكاكيّ

بشعره العجوزُ

وبزرة تُنْقَلُهَا مَعَادِنُ الشَّرْفِ

منتصبًا، كأنه مسلةُ جرانيت

يعلو إلى المنصة المقدسة

في قاعة الأعياد والولاءِ

فينحني على يد الصبيّ،

(الولد المراهق الذي يُهَيِّئُونَهُ)

يبوسها. ويكْمِلُ الصعودُ

وينحني على يد الإله سيّد الأصنام
يبوسُها،
ويرفع التحيّة التي ترجُ قامته
لكي يعودَ خطوتين للوراء ثم ينصرف
لكن شيئاً ما يرنُّ ساقطاً عن صدره:
ووسط صمتٍ هائبٍ
تَنطَنطُ الوسامُ قافراً على سلالم البلور
وعندما استقرَّ بين أرجل الحضور
ظلَّ الوسامُ يرتجف.
ويرتجف. ويرتجف.

١٩٩٤/٣/٢

٦- الصنمُ الحزبيّ
يتناولُ أدويةَ الشيوخوخة في مكتبه
ويُدبِّل سماعات الأذنين
ليلقطَ أيّ دبيبٍ يدنو من منصبه
ويُساعدُهُ فحلانٍ من الحراس
على حَمَلِ الكرسيّ، مساءً، للبيت.
يغمزُهُ الاطمئنانُ إلى زوجته النائمة يساره،
ويحطُّ أصابعهُ اليُمْنى فوق الكرسيّ
ويمسكهُ، مغتبطاً، ويناماً!

١٩٩٤/٢/٢٢

٧- قُبعة النرجس
كنا مجروحين نداوي التاريخ
مَرَقْنَا القمصانَ ضماداً لجروحه
كنا، نحن المكسورين، نعد الجبارات
للأم كسور يديه
دُرنا في الأصقاع،
حملناه على أذرعنا كصبيّ أفزعه القصف
سرنا أعماراً كاملةً النقصان
دَفْنَا أحلانا في وعر الرحلة
لكننا ذات صباح أدرُكنا أنا ضيَعنا وجهتنا
والصنمُ الموفورِ الصحةِ
والمزدانُ بقُبعة النرجس
كان دليلاً لخطانا
هل أخطأنا حين عَصِينَا؟
هل أخطأنا حين أطَعْنَا؟
هل أخطأنا؟
كنا مجروحين نداوي التاريخ

كنا مجروحين نداوي التاريخ

١٩٩٤ / ٣ / ٦

٨- المفسر

صنم، ومسبحة من اليسر المتوج بالذهب

متربّع في قرو «خاروف»

ويشرح ما يريد من الكتاب

في عينه ورع.

ولكن عينه الأخرى

تهيؤنا ولانم «للذئاب».

١٩٩٤ / ٢ / ٢٠

٩- صوينمات

صنم يربي، كالدجاج، صوينمات

ثم يطفها علينا كي نفدس ريشها

ونقدم الصلوات كي ترضى علينا

ثم يعلفها بألقاب لها وقع الهراوات التي تهوي

وعندئذ

تظن دجاجة صنم بأن لها مخالب كالأسود

ولبدة ومهابة

وتروح تزار كي نخاف وننزوي.

وسلالة الأصنام تولد هكذا

صنم يحن على صنم

ليسوقنا الإثنان في زهو

إلى قفص المخافة، كالدجاج

١٩٩٤ / ٢ / ٢٧

١٠- مانتان

قريتي حفنة من بيوت

والصنم

مائة من تماثيله في الشوارع،

لا يبتسم

هل ظلمناه؟، عفوا

ففي مائة غيرها، يبتسم

١٩٩٤ / ٢ / ٢٣

المرأة الجلاد

لم تكذب
تحبك لا جدال.
ولا تطيق عليك عطرَكَ
لا تحبُّ حديقهً أصلحتها ورويَّتها
والمرأة الجلاد لا ترضى وإن أصبحت
مِرْوَدَ كُحْلِهَا، وذهبتَ في يدها كما شاءتْ
من الجفن اليمين إلى الشمال
المرأة الجلاد لم تكذب
ولكن لا تحبُّ قميصَكَ الأبيض
ولم تكذب
ولكن لا تحبُّ قميصَكَ المنقوش أيضاً
والحزام وربطة العنق الأخيرة في عشاء الأمس
والأخرى التي كانتْ لديكِ
المرأة الجلاد
تزعجها هداياك اللطيفةُ
فهي تجبرها على «شُكْرًا»
ويزعجها حنائك
لا تطيقُ إذا اعتنيتَ بمزهريّتها
وتكره أن تحنَّ لوالديكِ.
المرأة الجلاد
تعرف كيف تدفَع حاجيَّها للتلامسِ
كلما ابتهجَ الجميعُ
وكيف ترمي القشعريرةَ في الجدال!
المرأة الجلاد لم تكذب
ولكن لا تناسبُها ابتسامُكَ التي
تأتي اعتذارًا هاربًا
من صَوْتِهَا الجنرالِ.
المرأة الجلاد لم تكذب
تحبك فابتسم

رقص

خذوا ما تريدونَ
أعطوا الغزاة مقابر أهلي
وزيدوا لهم حصة الميرمية والياسمينَ
خذوا ما سيعطونكم من ملامحنا أو ملامحهم
واشكروهم، وخلّوا خيالي بأكمليه
هادئاً كالجنينَ
خذوا نصفَ صوت المآذن،
نصف اليدين ونصف الشفاهِ
ونصف الحصان ونصف الرصيفِ
ونصف عيون الكفيفِ خذوا ما تريدون مني
خذوا ما أريد من الكونِ
لكن
بلا أيّ رقصٍ رجاء، فإني حزينُ.

١٩٩٣ / ٩ / ٩

صندوق جدتي

رَمَنْ مُطَوًى كَالشَّرَاشِفِ
رَتَّبْتُهُ مِنْ ارْتِبَاكَاتِ الْجَفُونِ
أَمَامَ سَيِّدِهَا الْعَرِيسِ
إِلَى جِنَارَتِهَا الْقَلِيلَةِ فِي الْمَطْرِ
صُورٌ، مَنَادِيلٌ مُطَرَّرَةٌ الْحَوَافِ
رِسَائِلُ الْأَحْبَابِ، مُدُّ تَلَيَّتْ عَلَيْهَا
ظَلٌّ مِنْ آثَارِ دَمَعَتِهَا عَلَى غِيْبَاتِهِمْ
بَلَّلٌ عَلَى الْحَشَبِ الْعَتِيقِ.
وَفَوْقَ مَقْبِضِهِ الْمُرْخَرَفِ
لَمْ تَزَلْ لِمَسَاتٍ كَفَّيْهَا مُجَعَّدَةً
وَأَحْقَاقٌ مِنَ الطَّيِّبِ الْقَرِيبِ مِنَ الْخُزَامِي
مَفْرَشٌ طَيَّاتُهُ لَمْ تَنْفَرُدْ أَبَدًا
مَكَاجِلٌ، بَضْعٌ أَحْزَمَةٌ مَقْصَبَةٌ الْخِيوطِ
وَلَدَّةٌ جِنْسِيَّةٌ مَرْمِيَّةٌ فِي أَسْفَلِ الصَّنَدُوقِ
لَمْ تُلْمَسْ بِنَاتًا
طُوقٌ عُنْمَلِيَّةٌ، حُجْبٌ وَأَدْعِيَّةٌ،
وَدَعَوَاتُ الْخَطُوبَةِ وَالزَّوْاجِ
خَوَاتِمٌ، لَمْ يَحْظَ إِصْبَعُهَا بِهَا يَوْمًا
أَخْصَصَتْ الْخَوَاتِمَ لِلْهَدَايَا يَا تَرَى؟
أَمْ بُخَلُّهَا الْمَرْوِيُّ عَنْهَا قَوْلُ صَدَقٍ؟
كَيْفَ لَمْ تَبْخُلْ إِذَنْ بِحَيَاةِ ابْنَيْهَا
اللَّذِينَ اسْتَشْهَدَا فِي لَيْلَتَيْنِ
مُنَادِيَيْنِ اسْتَنْهَضَا كُلَّ الْفَرَى يَوْمًا، وَنَامَا؟
عُلبَةُ التَطْرِيْزِ فِيهَا كُلُّ بَرَقِيَّاتِ مَنْ عَزَّوَا
وَوَاسُوا
وَالْفُصَاصَاتُ الَّتِي ذَكَرْتَ مُحَاسِنَهُمْ.
وَصُورَةٌ ذَلِكَ الْجَبَلِيِّ وَالِدِهِمْ
يُطَرَّرُ صَدْرَهُ صَقَانٌ مِنْ فَسْكَ عَتِيقٍ
فِي شَبَابِ جِهَادِهِ
كَمْ كَانَ يَنْكُرُ أَنَّهُ بَطَلٌ
لِيَذْهَبَ لِلْبَطُولَةِ دُونَ ضَجَّتِهَا
وَلَمْ يَرْجِعْ. فَقَطْ بِبِيسَاطَةِ الْبُلْهَاءِ لَمْ يَرْجِعْ
وَأَعْمَتْ نِصْفَ عَيْنَيْهَا وَلَمْ يَرْجِعْ.
وَهَذِي صُورَةٌ لَزَفَافِ أَصْغَرِهِمْ
تُكَلِّلُهُ سَيُوفُ الْفَنْدُقِ الْغَالِي

وراقصة تميلُ على شواربه الوليدة
والعروسُ بدينةُ
مزدانةُ الرُّسعينِ بالذهبِ البدينِ
وصورةٌ لحفيدها المقتولِ في بيروتَ
هل ضاعت رسائلُهُ؟
هنا أشلاءُ أغلِقِ،
طُوابغٌ لم تزلْ ترسو بها سُفنُ الخليجِ
وأرزةٌ ونقوشُ تونسَ، بحرُ قبرصَ،
رسمُ أهرامٍ وتمثالٍ عراقيٍّ وكُرْتٌ من أثينا
كَنزَةٌ صوفيَّةٌ لم تكتملْ
سنارةٌ مكسورةٌ، قَلَمٌ بلا حيرِ
أَتَكْتَبُ؟! ما الذي فَعَلْتُ به؟!
صُورٌ لجارتها الجديدة
(دائمًا جيرانها جُدُّ!)
ومفتاحُ لبيتِ غابرٍ في اللدِّ،
عنوانُ لبيتِ في ضواحي القدسِ
صورةٌ عقدِ إيجارٍ لبيتِ ضَيِّقٍ في الشامِ
مِرْآةٌ ومشطٌ في مِقياسِ الكَفِّ من حَسَبِ
(تَكسَّرَ منه سِنٌ واحدٌ)
تركتُ ظلالَ ظلالِها الجِناءِ في أنحاءِ
وتغامقتُ بندرُجٍ يخبو
هنا صابونُها البلديُّ، صبغَةُ شَعْرِها
وهنا ملاءُها الحريريُّ (هديةٌ لزواجها القسريِّ)
ذكرى صار مَلَمَسُها كسطحِ الخيشِ
(يضربُها الفدائيُّ النبيلُ إذا عَصَتْ نظراتِه يومًا)
ولكنْ كَمْ تَعَلَّمَتِ النَّحْمَلِ والتغاضي!
كيف كان الحُبُّ يولد في الفواصلِ
بين كدماتِ الشَّجارِ
وهل خُلِقْنَ لمثلِ هذا يا تُرى؟
صندوقُها الخشبيُّ لا يحكي عن الوقتِ الحميمِ
كأنَّ في جداتنا من كلِّ شيءٍ كلُّ شيءٍ
ما عدا أجسادَهُنَّ
عدِمْتُ نفسي إن كذبتُ،
أردتُ دومًا أن أفنِّشَ عن ملامحِ قلبِها
عن نزوةِ الأنثى وعن جيلٍ وعن جِنِّ
وعن سِرِّ يخبئُ سرَّها
زمن مطوي كالشراشفِ مثلما تهوى

وليت العُمَرُ رُتَّبَ هكذا يا جدّتي!
قومي على كتفي ومُرِّي في الزمان غريبةً
وتألمي ما تُبصرين
من ارتباكاتِ الجفونِ أمامَ سيّدك العريسِ
إلى جنازتنا جميعًا في المطر.
١٩٩٥ / ٣ / ٢٣

لا شيء يبدو علينا

و حين يغيب الحبيب الغياب الأخير
وبعد البكاء المُدَوِّي
يجيء بكاء اليقين.
هنا، لا دموع ولا صوت،
لا شيء يبدو علينا
كأننا نواصل!
لكننا، فجأةً، ربما بعد عامٍ وعامين
أو في شرودٍ يباغتتنا قرب مرأتنا
حيث موس الحلاقة في كَفِّنا
يتوقف في صفحة الخدِّ
ندرك أن أمرَّ البكاء البكاء الذي لا يُرى
وأنا كلُّ ما فيَّ يبكيك إلا عيوني.

١٩٩٤ / ٢ / ٢١

منيف

ويموت منّا من يموت، بموعدٍ
أو صدفةٍ هي موعدٌ
وكاننا نلهو ونلعبُ في كمينٍ
منّا شهيدٌ كهولةٍ أو غربةٍ
أو قبلةٍ في الظهر
أو.. برصاصةٍ في الصدرِ
أو .. بهمومنا المتعرجاتِ على الجبينِ
منّا شهيدٌ اليأسِ
حيثُ تشيخُ وأدنه الصِّبا عند الصبيِّ
وتنتهي آمال من ثاروا
بثرثرة الحبيب مع العدوِّ
وفي معانقة الضحايا للخصوم «الطيبين»
منّا شهيدٌ كلامه وGRAMه،
وحروبه وسلامه
والخير تحت قميصه
والشرّ في أيامه
والمرءُ فلاحٌ يُتلمَّ حقله
والموتُ مبدورٌ على أثلامه
وحصاده قَمَمُ الفُكاهةِ والجنونِ.
وأخي شهيدٌ جماله وخصاله
أنا لم أجد رجلاً يعيش بقلب أم مثله
رجلٌ رؤوم.
فتكتُ به لا كفُّ غادره الغليظةُ وحدها
بل رقةً في النفس مضمرةً وباديةً
كضوء فراشة غاصت بمخمل وردةٍ
فبيين جزء الجزء من كلتيهما
ويظلّ ما يخفى خيالاً لا يبين
وأخي شهيدٌ خُصومةِ الروح الحرير
مع الأنا
وكانَ فطرتُهُ ترى
أن النعيمَ الآخرونُ
وأخي شهيدٌ جماله وخصاله
وهو الحنون ابنُ الحُنونةِ والحنونُ
وهو الذي يرعى أباه هشاشةً
وترقُّفاً

وكأنَّ والدَهُ جَنِينُ
وهو الذي ظَلَّتْ أُمومَتُهُ تُظَلِّلُ أُمَّهُ.
ليرى ابتسامَتها
ويفزغُ أن يكون بصوف كَنزتها
ولو خيَطُ حزينُ.
هو شاعرُ
والشعر ليس تبرُّجِ القاموس
بل نَفْسٌ تعاف رثائَةً تغري بنا
هو شاعرُ
والشعر يجري في يديه بلا كلامٍ
الحُبُّ فيه طبيعَةٌ منذ الولادة
مثلما تقضي الطبيعةُ
أنَّ رُفْرَفَةَ الجوانحِ في الحَمَامِ
تدنو أصابعُهُ
طيورًا في فناء الدار
تنثر رزقها حُبًّا وحَبًّا
ثم تَعَلو في التَكَنُّمِ والغمامِ
بغياهِ
حرقوا حديقَةَ مَكْرُماتِ كاملة
والله إنَّ قَلنا له يَنخاك مُحتاجُ
سأعجِبُ كيف يَمَنعُهُ الضريحُ
من القيامِ

* * *

أيها الصيَّادُ الكَهْلُ
ذو النظَّارةِ السميكةِ
أيها الأشعثُ الذي يرتجلُ شأنَهُ
أيها الذي لا يعرفُ العَدْلَ، أيها الموتُ
سأقودُكَ من شحمةِ أُنْكَ
وأمرُكَ أن تفتحَ عَيْنِكَ جِيدًا
لترى فداحةَ فِعْلَتِكَ الأخيرةِ

* * *

هذا السائرُ ليلاً
في انتظارِ قطارهِ
هذا الفلاحُ المَلِيحُ
الذي تحيطُ به هالاتُ وأكاليلُ
من الميرميَّةِ والبابونجِ
والزعترِ البريِّ وعصا الراعي والخزامى

والمرار وهندباء الجبال
من جرؤ على إحناء قامته السرور؟
من جرؤ على بعث كل هذه القشعريرة
في الهواء المحيط بكتفيه؟....
من جرؤ على خنق الإستغاثة الأخيرة
للجمال؟

* * *

هو يمشي بمعطفه الكحلي
الكرامة كلها .. تحمل معطفها الكحلي
البهاء كله يُنقل خطاه على الرصيف
بحدائه الشتوي
المودة كلها تسير كقروي طيب
يوذ لو يعانق المارة جميعاً
العفو كله يسرع وربطة عنقه
مائلة قليلاً باهمالٍ مُحَبَّب...
وهنا بالضبط، هنا بالتحديد
وليس حيث الأوغاد والسفلة
تقرر الظهور أيها العذر الذي
يسموتك الموت
لا لشيء
إلا لكي يصبح الكرام أقل عدداً
وكي ينقصوا إلى هذا الحد!
أيها الصياد الذي لا يعود بجعبة
فارغة
أيها الموت
أيها البليد الملح
أيها السيد الذي يستهين بالخصوم
أيها الصدفة التي تضرب مواعيدها
بالذقة التي تريد
أيها المدراة التي تذرو رمال الناس
من جهة إلى جهة كل يوم
أيها الواضح
أيها المتعدد
أيها المُفنع أيها الموت
أريد صاحبي أيها الموت
أيها الذي جعلته يُمعن بُعداً
عن المحبوب وبلد المحبوب

وتركت في عينيَّ سُخْطَ خليقةٍ كاملةٍ

* * *

سأبوحُ يا ابن أبي ويا جدِّي الصغِيرَ
بأنَّ حزني فيك
كان أقلَّ من غضبي
فمنذ فجيعة الإغريق
لم يصعد إلى الأوليمب مفجوعٌ كما بلدي
كأنَّ الكونَ مَسْرَحُنَا.
ستارتهُ الشتاتُ ولم أجدُ
أحدًا ليُسدلها علينا أو
على الأعداءِ
مذ جاء الذين رأتهُموا أمِّي
وزرقاءُ اليمامةِ والكُتُبُ
وستهبط المأساةُ للملهاةِ ثانيةً
ضحايا يضحكون على الضحايا
والدموعُ على ابتسامات العربِ
اعتبُ على من شئتَ يا ابنَ أبي
وبالغُ في العتَبُ
أنت الذي ما غبتَ غيمًا صامتًا
بل هكذا
كدويِّ غابات البتولا
في نثار الرِّعْدِ
يومَ سَقَطَتْ أخضر واقفاً
وسواك يسفُطُ كالحطَبُ
اعتبُ على من شئتَ يا ابنَ أبي
وبالغُ في العتَبُ.
هي قصَّةُ لِفَتَى غريب الدارِ
وهي القصَّةُ الكبرى لكل الدارِ
هذي الأرضُ لاجئةٌ كمن لجأوا
يطاردها غلاظُ الخطو والخطباءُ
والخطباءُ إن قتلوا سعادًا أنشدوا
بانئتُ سعادُ.
سرقوا سماءَ الناسِ يا ابنَ أبي
ونبحشُ بالأظافرِ
في تراب الكونِ كي نجدَ السماءَ
وسيرقص الأعداءُ في التوراةِ
لا طَرَبًا ولكن خدعةً

ويظل يرقص ذلك الحبشي لا طرباً
«حلاوة روحه رقصت به»
سيزيتون شجيرة الأعياد قرب البحر
ثم يجربون فؤوسهم في غابة الإغريق
حيث أزقة العربي يرجف بردها
وتموء في غدها القطط
وسيهمس الشهداء للشهداء
هل متنا غط؟
وسيسهر الأعداء قرب البحر
ثم يرتبون الشر مثل شراشف الأولاد
يرمون الضحية بالضحية
والسواد على السواد
وهناك فوق غيومك الأولى، هناك
ستنام في قلبي علينا، مثلنا
حتى نغادر كلنا هذا الجداد.
١٩٩٣/١٢/٢٠

مَنطِقُ الكائِناتِ
عمان ١٩٩٦

تمرّد

قالت عبادة الشمس للشمس:
مُملٌ إتباعك كلَّ يوم.

عَالَمٌ ثَالِثٌ

قال المغناطيس لِبِرَادَةِ الحديد:
أنتِ حُرَّةٌ تَمَامًا
في الاتِّجَاهِ إِلَى حَيْثُ تَرغِيبِينَ

عَالَمٌ ثَالِثٌ

قال القلم للمبرة:
أنتِ كبعض الأحزاب..
يدخلها المرءُ
فتقصُرُ قامتهُ
ويضمُرُ رأسه.

المكيدة

قال المتلهفون على الدُخول:
عَبَثًا احتفظنا بمفاتيحنا طوال العُمُر..
فقد غَيَّرُوا الأقفال.

المداخِن

قالتُ أسطُحُ المنازل:
تمامًا كبعض البَشَرِ
المداخِنُ عاليةٌ، وقَدْرَةٌ.

الحَبْلُ

قالت رَبَّةُ الْبَيْتِ:
الْعَسَّالَةُ الْأُتُومَاتِيكِيَّةُ الْفَحْمَةُ
لَا تَدْخُلُهَا إِلَّا الْمَلَابِسُ الْمَتَّسِخَةُ
وَحَبْلُ الْغَسِيلِ الْمَشْبُوحُ بَيْنَ مَسْمَارَيْنِ
لَا يَحْمَلُ إِلَّا مَا هُوَ نَظِيفٌ.

الأفعا

قالت الأفعى:

رغم أن البشر يلعنونني
أظُلُّ أفضلَ من بعضهم
وعندما ألدغ أحداً
فإنني، على الأقل،
لا أدعي صداقته.

أحذية وأحذية

قال الإسكافي،
وهو يهوي بمطرقته على الجداء:
عندما أضربك بكل هذا الغلّ
إعلم
أنّ خيالي يُمارس انتقاماته الغامضة

الباب الدّوّار

قالت المترجمة الفورية:
المبادئ تَدْخُل وتَخْرُجُ في نفس اللحظة
من قلوب هؤلاء السياسيين
كما يدخل ويخرجُ
نزلاءً الفندق الكبير
من الباب الدّوّار.

المطبعة

قالت آلاتُ الطِّبَاعَةِ:
بعد كل هذه السنواتِ مِنْ رَفَقَةِ الكُتُبِ،
كُلُّ التَّقَدِّمِ الَّذِي حَدَّثَ لَنَا
أَنَّهُ تَرَكَمَ عَلَيْنَا الصِّدَأَ.

العُكَّة

قالت «العُكَّة»:
أشعر بالضِّياع..
ففي فم السياسيِّ
أُصبحُ بيانًا هامًّا.
في الجريدة
أصبحُ الافتتاحية.
في وعود العشاق
أصبحُ تنميقةً للكذب.
فقط في فم العاهرة
أحتفظُ بصفاتي.

الجمهوريّة

قالت مقابرُ الشهداءِ
المترااميةُ الأطراف:
بَعْدَ كُلِّ ما جرى ويجري
بَعْدَ كُلِّ ما فَعَلْتُمْ وما ستفعلون
أيها الأحياءُ في ممالك الرّضى...
أنا
جُمْهورِيَّةُ العَنْبِ

الجُراة

قال الكهل:
لم يعد يتحلّى بالجرأة
سوى الأطفال...
يؤمنون أن السُّورَ
بُنِي لِنَقْفِرَ عنه،
وأن الأصابع
خُلِقَتْ لتلمِسَ النار،
ولأ يرون السُّلْطَانَ العاري في الحكاياتِ
مَكْسُوءًا أبدًا.

مساواة

قال اليايسُ للأخضر:
أحلُم بحربِ أهليَّة
حتى نتساوى.

أمراض

قال الكرسي:
أنا سبب السمنة،
وأوجاع العمود الفقري،
والبطش.

السَّرَج

قال سائسُ الخيل:
لا تحسدوا أهل القمّة
الواحدُ مِنْهُمْ حالُهُ كحال السَّرَجِ..
له صهوةُ الفَرَسِ
ومؤخّرةُ الفارسِ

كُرَّةُ الْقَدَمِ

قال المَلْعَبُ:

إثنان وعشرون لاعبًا

يتراكضون/ يهجمون/ يدافعون/

يخططون/ يراوغون/ يُسدّدون/

والجماهير تهتف/

ولكنّ

بدون كُرَّةٍ على الإطلاق

يا إلهي!

كم أصبح الصراغ مثيرًا للسخرية.

نزاهة

قال صندوقُ الانتخابات:
عدّادُ التّكسي
وبائعُ الحليب
وأنا...
لو راقبتنا الملائكةُ والشياطينُ معًا،
سنغشُّكم.

الخازوق

قال الخازوقُ وهو يطالعُ جرائدَ الصبّاح:
أكاد أموتُ مِن الضحك...
مقالاتٌ كثيرةٌ تتغنى بِجمالي

جغرافيا

قال التلميذ:
في العالم العربيّ
أرواحنا وبيوتنا
لا تحتاج إلى الزلازل
كي تتشقق.

اللباب

قالت اللبابة:
لو كان لي عمودٌ فقريّ
وسيقانٌ قوية
كهؤلاء الطامحين
لما تسلّقتُ على الحيطان العالية
مِثْلَهُمْ.

العقرب

قال العقربُ في مؤتمره الصحفيّ
عمّرتُ طويلاً للأسباب التالية:
اشتريتُ ملابسَ باريسية
دخلتُ السيّجار
قرأتُ، على استعجال، بعض الكتب
لأستشهد بمقتطفات منها في مجالسي
دخلتُ بيوت الناس بدعوةٍ كريمةٍ منهم
لألدغهم.
ولم أكرث لمأساة زملائي العقارب الذين
يموتون صغاراً بضربة حجرٍ
أو تحت النّعال
فلم يمسسني أحدٌ بسوء
منذ أن تعود ضحاياي
أني أشبههم.

الصفحة

قالت الصفحةُ لزميلاتها الصفادع:
بنقيق فيه سعادة و غرور:
منذ اختراع التليفزيون
ونظام الانتخابات
دخلت لغننا الجميلة كل بيت.

الفخر

قالت النملة لرفيقتها:
ما العَمَلُ؟ إنهم يسكبون علينا المبيدات،
إننا نتعرض لمجزرة...
وقفت النملة الأخرى بشموخ
ومدّت ذراعها اليمنى
ولوحت بقبضتها في الهواء
وراحت تُنشدُ مُعلّقةً «عمرو بن كلثوم»

الرّكاب

قال الرّكاب:
تتكئ أرجلهم القصيرة عليّ
ليعتلوا الصهوة
وأطلُّ طوال رحلتهم
أتأرجحُ في منزلتي الأبدية
تحت أحذيتهم
أو على جانبيّ البهيمة
كالمواطنِ.

رسالة الوحش

قال الأسد

في رسالته إلى زملائه في الغابة:
كيف أصف لكم سعادتني بوضعي الجديد؟
هنا

في الحديقة المسورة
لم أعد أجهد نفسي بتدبير شؤوني،
فلدي من يحدد لي طعامي ونومي،
ومن يحدد لي متى أزار ومتى ألهو،
ولا يحظى بزيارتي إلا من يحمل بطاقة
هكذا ارتقيت من منزلة الوحش
إلى منزلة البشر
فأنا كأهل البلاد تمامًا
أروح وأغدو في مكاني
ولدي، مثلهم، كل شيء..
قفص لا أملك مفتاحه
وحارس لا ينام.

النَّرد

قال النَّرد:

أنا وأهلُ هذه البلادِ سواءٌ بسواءِ
المتنافسون يتقاذفونني بالأيدي
ويتركونني أرتطمُ بكلِّ الحوافِّ
ليتلذذوا بالفوزِ
فإن خسروا الجولة
وقع اللومُ عليّ.

دوجما

قال بؤبؤ العين:
هؤلاء القوم سينقرضون لا محالة
لأنهم لا يفكرون في ما يرون
بل يرون ما يفكرون فيه.

تَوَقُّعٌ

قالت العتبة:
ليتني أدخلُ إلى الصَّالون.
قال الصَّالون:
ليتني أخرجُ إلى الشُّرْفَةِ
قالت الشُّرْفَةُ:
ليتني أطير.

المِراة

قالت المِراة:
ما أشدَّ تعاستي
لا أحدَ ممَّن ينظرونَ إليَّ
يريدُ أن يراني.

تكتيك

قال كبير الشرطة لمعاونيه:
الجماهيرُ كرزُمةٍ وَرَقِ اللَّعْبِ..
لا يمكننا أن نلعبَ بها أبداً
إلا بعدَ خَطِّ الأوراقِ.
وتفريقها.

الملاحه

قال المظلوم:
الحقيقه في يد الظالم
كالملاحه على مائده الطعام..
لا يُستفاد منها.
إلا إذا قُلبت على رأسها.

كرسيّ الحلاق

قال الضمير:
أصبحتُ كأبواب الحلاقين
المصنوعة من خيوط الخرز الملون
الكل يحني قامته أمامها.
ويزيحها بلا مبالاة
ليصل إلى الكرسيّ.

الدَّور

قالت السناي:
لأمرٍ ما
غير التَّواضع والسَّمَّاح،
يحنى قامته المُنْجَل.

القطار

قال القطار:
حالي كحالكم...
الخروجُ عن السكةِ ولو لمرّةٍ واحدةٍ
انتحار.

القضية

قالت القضية الوطنية:
أنا كَحَطِّ النهايةِ في سباقِ الركض...
الفائزون والخاسرون
- في لحظةٍ من اللحظاتِ-
يدوسونني بالأقدام.

اجتماع سياسي

قال لجاره بعد تعاقب الخُطباء:
لماذا يستيقظ المرء
على زقزقة عصفور
ويغفو على ضجة قطار؟

الأخرس

قال كاتبُ الصَّوتِ:
لو كان لي صوت،
لما استخدمني القَتَلَةُ.

الكعب العالي

قالت القُبَّعة:
وهي تصغي لطققة مشية السيدة
مهما كان كعبه عاليًا
يظلّ الجذاء حذاءً.

الصمت

قال الصمت:
الحقائق لا تحتاج إلى البلاغة،
الحصانُ العائد بعد مصرع فارسِهِ
يقول لنا كل شيء
دون أن يقول أيَّ شيء.

بلادي بلادي

قال الذي التفت عليه شباك الموت في المنفى:
السَّمكة،

حتي وهي في شباك الصيادين
تظلُّ تحملُ رائحة البحر.

لا مفر

قال الهاربُ وقد ضاق عليه الخناق:
يا إلهي، أين أختبئُ
والمدينةُ ملأنةٌ بأصدقائي؟

سبب

قالت الغابة:
لم أجد، بعدُ. سببًا
يجلبُ السعادةَ
للشجرةِ وللحطّابِ
معًا.

انتباه

قالت الخادمة الأسيويةُ لسَيِّدها:
أنظر يا سيدي هذه صورةُ ابنتي
التي تركتها مع والدتي هناك...
أجابها السيِّد:
نَعَمْ نَعَمْ. إِنَّهُ وَلَدٌ جَمِيلٌ بِالْفِعْلِ
ناوليني جواربي الصفراء.

الستارة

قالت ستارةُ المسرح:
أنا حاجزٌ بين مأساتين
تدوران في نفس الوقتِ
والأكثرُ عَنِّيَّةً فيهما
ليستْ تلكَ التي يمثِّلها الممثِّلون.

أعمدة الكهرباء

قالت أعمدة الكهرباء:

تضربنا الريح

يُعَفِّرُنَا العُبَارُ

تتَكَيُّ علينا العَاهِرَةُ

وَنُضِيءُ العَالَمَ.

نيام

قال الدّيك:
لا يسمع صياحي
إلا المُسَنِّقِظ.

عَراقة

قال فاقِدُ صوابِه:
في هذه المدينة
أشعُرُ أنني نخلةٌ
زرعوها في «قَوّار».

السّجن

قال ابنُ آدمَ:
طُوبى للعصافير في هذا القفصِ
إنها -على الأقلّ-
تعرفُ حُدودَ سِجْنِها.

البطاقةُ البريديةُ

قالت البطاقةُ البريديةُ:
صورة هذه المدينةِ الملونةِ
التي أحملها
لن تقولَ لكم
إنَّ وراءَ نوافذها
زوجاتٍ لم يعرفنَّ اللذةَ أبدًا
مراهقاتٍ اُحدُو دَبَّتْ ظُهُورُهُنَّ قليلًا
إحترامًا لحُكْمَةِ إخفاءِ التَّديينِ
أشباهًا آدميةً عاليةً المكانةِ
تصفُرُ في الهياكلِ العظميةِ للناسِ
أحزابًا مهجورةً
ولا معنى لها كأسوارِ المقابرِ
مكتباتٍ لا تبيعُ إلاَّ الدُّمى
وقماشَ اليافطاتِ وبرائقِ حفلاتِ الميلادِ
رجالًا يعاقبونَ بناتِهِم بسببِ فضائلهنَّ
وذعرًا يغمرُ قشعريرتَهُ بلحافٍ
من صوفِ النَّعاجِ.
ولو دقَّ المصوِّرُ لهذه المدينةِ أوتادًا
لصارَتْ خيمةً من الوَبَرِ.

السفينة الغارقة

قال حُطامُ السفينةِ الغارقة:
هنا، في القاع،
يبحثُ المغامرون عن كُنوز.
وتبحثُ الشرطَةُ عن جُنُثْ.
وتبحثُ شركات التأمين عن ذرائع.
ولم أجدُ مَنْ يبحثُ عن
شهقاتِ البحّارة والناس،
وهو أجسهم الأخيرة،
عندما كانت العاصفةُ
بسَهَرِها النَشِيطِ
خيّاطَةً تُفَصِّلُ الثيابَ السود،
وتُكوِّمُ الثلجَ الأبيضَ
في النصفِ الفارغِ
من سريرِ الأرملة.

الكابوس

قال الكابوس:
أُدُّوبُ مَكْعَبَاتِ الرَّعْبِ
فِي كُؤُوسِكُمْ
أَهْدَمُ الْأَرْفُفَ الْمُنْسَقَّةَ فِي مَمْرَاتِ خِيَالِكُمْ
أَعْيَتْ غِبَاءَ ثِيرَانِي فِي زُجَاجِ لَيْلِكُمْ
أَبْنِي حَوْلَكُمْ زِنزَانَةٌ
يَجْحَظُكُمْ مِنْ نَافِذَتِهَا
ضَبْعُ كَاكِي اللَّوْنِ
أَهْيَاءُ مِنْ قَامَاتِكُمْ
فَقَصَبًا تَحْتَ دَهَيْسِ الْكَرْكَدَنْ
أَخْرَبُ مَا أَخْرَبُ
وَأَشْوَهُ فَيْكُمْ مَا أَشْوَهُ
وَأَجْعِدُ حَدِيدَ هَشَاشَتِكُمْ بِالْقَشْعِرِيرَةِ
حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظْتُمْ
مَنْحُنُكُمْ سَبَبًا لِلَامْتِنَانِ وَالشُّكْرِ
لَكُونِي مُجَرَّدَ كَابُوسٍ زَائِلٍ.
وبعد ذلك...
تحتسونَ في غبطةٍ وراحةٍ بالِ
قهوةِ الصبَاحِ
وتخرجونَ للسَّعْيِ المألُوفِ
في شوارعِ يومكم الجديد، المُشرقِ
حيثُ يبدأ الكابوس الحقيقِيّ

دَقِّقْ جَيِّدًا

قال القمر الصناعي:
على فوهة البئر الوحيدة
التي يصلح ماؤها للشرب،
على أحلام منتصف العمر،
على احتفالات الاستقلال،
على جبين الناقة المُحمَّلة بشواتِ الحداثة
على قُبَّةِ البرلمان الناعم
على الزناد المصوّبِ ضد العدو
على مندبل المأذون فوق مصافحة العروسين
على أدنى السُلطة
على صراخ القويّ وعلى سكوت الضعيف
على القوسِ الصحراوي
المحاذي للبحر الأبيض المتوسط
دَقِّقْ جَيِّدًا
سوف ترى نسيج العنكبوت.

المِخْدَة

قالت المِخْدَة:
في نهاية اليوم الطويل،
أنا فقط من يعرف ارتباك الواثق،
وشهوة الراهبة،
والرَّجْفَةَ الخفيفة في رموش الطاغية،
وَتَهْتُّكَ الواعظِ
وَتَحْرُقَ الروح
لجسدٍ ساخنٍ يُلمِّمُ شرارَها المُبَعَثَرَ
في جمرةٍ واحدة،
وجلالَ المنمنماتِ القليلةِ الشأنِ
التي تهملونها عادةً.
وأنا فقط من يعرف
هيبَةَ الخاسرِ،
وَوَحْشَةَ المنتَصِرِ،
وذلك الإحساس بالبرودةِ البلاءِ
بعد تحقُّقِ الأمنيةِ.

الطعنة

قال ضوء القمر:
أنا المشرّد الأول
والمُبَعَثُ الأبدِي
تجدني على كاسحات الأمواج
على خوذة الغازي
على الأسنان الصناعية لرئيس الحزب.
على توَسُّلِ الصّفاصافِ وعناد النهر.
على جبين السيدة،
حين تضربه اللذة من أسفل إلى أعلى.
على أطرافِ الجلادِ وحلقة مفاتيح اللص.
على قُبّة البرلمان اللانذ بأوصافه،
على أوسمة الهارب من ميادينه
على الجانب المائل من قاذفة القنابل،
على الدرج الرخاميّ
على نصل السكين،
حين ينقله صديقك من صدر عباءته
إلى العمود الفقريّ في ظهر عباءتك...
وأنا
في وَجعي الشاهق
أَتَوَسَّلُ إليها:
خبئيني، أيتها الغيمة

المُعْتَقَل

قال المُعْتَقَلُ لزميله في الزنزانة:
عندما يُفْرَجُونَ عَنِّي
سوف أُنْبِي لِنَفْسِي بَيْتًا
مُحَاطًا بِالشُّرُفَاتِ
تَدْخُلُهُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ
مِنْ كُلِّ زَوَايَاهِ،
نَوَافِذُهُ دَانِيَةٌ وَوَاسِعَةٌ،
سَجَّادُهُ مُلَوَّنٌ جَدًّا
أَسْرَتُهُ مِنَ الإسْفَنْجِ الكَثِيفِ.
يَزْدَحَمُ بِالكُتُبِ وَبِالمُوسِيقَى،
وَبِالدَّفَاتِرِ وَالأَقْلَامِ،
وَبِالضِّيُوفِ وَبِالصَّابُونِ المُعَطَّرِ.
وَمِنْ مَوَاصِفَاتِهِ الهَنْدَسِيَّةِ
أَنَّهُ
يُمْكِنُ الهَرَبُ مِنْهُ.

الفَخّ

قال الفَخّ:
أنا سيّدُ المشهدِ كُلِّهِ:
العصفورُ والصيادُ،
كلُّ منهما، وفي آنٍ واحدٍ،
يتوقَّعُ أن يجدَ مبتغاه
في قبضتي.

تشخيص

قال الوطن:
كما يَحْدُثُ لِكُلِّ النَّاسِ عَادَةٌ،
فَشَعْرِيَّتِي الطَّوِيلَةَ
بِاطْنِهَا حُمَّى.

الجبل

قال الجبل:
لو لم تكن الوديان في أماكنها هذه
لما كنت في مكاني هذا

نَعْت

قالت الجهات:
المطرُ متواضعٌ
والدُّخانُ مَعْرورٌ.

النحلة

قالت النحلة لزهرة الأكاسيا:

لماذا،

رغم ازدحام الأغصان والأوراق والزهور الأخرى

أشعُر، وأنا أحكُّ عِطْرِكَ الطَّيِّ

أنا وَحَدْنَا. وفي خلوةٍ مُطْلَقة؟!!

اليوبيل الفِضِّي

قال الصّرصارُ الأسودُ
المتسلِّقُ على ستارةِ حجرةِ النومِ،
للزوجينِ المحتفلينِ في سريرهما الباذخِ:
في ليلتكما الأولى
قبلِ خمسِ وعشرينَ سنةً
لم أكنُ هنا.

المزهرية

قالت المرأة الجميلة:
لا أريدُ أن أكونَ كالمزهرية...
صفتُها لا تجذبُ الانتباه
إلا إذا كانتُ فارغة.

النَّيْلُ .. النَّيْلُ

قالت العاشقةُ التي طال غيابُ حبيبها:
الشقيُّ هو الشقيُّ ليلاً.
والسعيدُ هو السعيدُ ليلاً
أما النهارُ فَيَشْغَلُ أَهْلَهُ.

مَقْعَدٌ وَاحِدٌ

قالت الطالبةُ لزميلتها في الجامعة:
أنا أشتهي ذلك الشاب
وعندما جمعهما، هي وهو، مَقْعَدٌ وَاحِدٌ
ذات صُدْفَةٍ مُشْمِسَةٍ
تشاغلتُ يربطُ حذائها الخفيف
وفَزَّتْ رَاكِضَةً

الروض العاطر

قالت لي السيدةُ المُجَرَّبَةُ:
ثمراتُ التينِ، قَشَّرْها
عناقيدُ العنبِ، المسها بشفتيك أو لاً
القهوة، خُذها ساخنة
الزوابع، دع وقارك جانباً وهي تلوب وتصيح
الزيارة، اجعلها مرحة
الشمس، اقترب منها بمقدار وابتعد بمقدار
القصيدة، لا تنزعج من غموضِها
اللوحة، لا تدقق كثيراً في تفاصيلِها
المسرحية، لا تغادرها قبل النهاية
الكلمة، لا تحاول استعادتها إذا ذهبت
المَرأة، اصنع معها ذلك كُلَّهُ.

الهُدُ

قالت لزوجها الزائف العينين:
لا تكن كالهُدِّ...
التاجُ الوحيدُ الذي يستطيعُ أن يراه
هو تاجُ الهُدِّ الآخر.

حبس

قالت الرسامة:
جارتى الجميلة سيئة الحظ
كانت لواحده
ولها زوج خشبي، غليظ الطباع.
مُعطى بدهان من الذهب
يلازمها ويسد عليها الجهات الأربع...
كالبرواز.

كولومبوس

قال لها:
اجعليني كولومبوس!
كشفت له عن مضائقها
وخلجانها وأعشابها وتلالها
ووديانها وفواكهها المدهشة.
وعندما طاب له كل ذلك،
ارتدى الولد ملابسهُ الثقيلة
وترك البنت في مكانها
تتحسسُ بذعرٍ
قطرةً من دَمِها على الملاءة.

بلا صوت

قال لها وهو يضع إصبعه على شفتيها:
لا تقولي شيئاً هذا المساء.
وليكن عناقنا صامتاً.
وأصواتنا، دعيها معلقة فوق السرير
كأنها لوحة زينية
تُصوّر أسوداً تركض خلف إنائها
تملاً الغرفة بالزئير.

الكأس

قالت كأسُ الخمرِ:
أسمِعْ كلَّ أكاذيبِ الرَّجُلِ الفَحِّ
وكلَّ استجاباتِ البنتِ الفريسةِ
وفي آخر الليل
يتعانقان على مخدَّةٍ ناعمةِ
وأنا،
أناُ فارغةٌ ودبقةٌ في اكتظاظِ المَجلى
كحقيقتيهما.

تفاهم

قالت البنتُ البالغُ:
أحياناً أشعُرُ في أسرتي
أنني لوحَةٌ تجريديةٌ
أهديتُ لمختارِ القرية!

رومانتيك

قال يصفُ حُبَّهُ الأول:
عندما تَرَكَتْني
شعرتُ أَنني في مصْعَدٍ
تَعَطَّلَ بينَ طابقيْنِ..
نحن ضحكنا مِنْهُ
لكنَّهُ لم يضحك.

براءة

قال الذي أدار ظهره للمرأة:
ظَلَّتْ تَلَا حِقْنِي كَمُنَّهَمْ
فَتَبَرَّأْتُ مِنْهَا.

العنّال

قال المَنفِيّ:
أشواقِي إِلَيْكُمْ
وجواهرُ ذَاكرَتِي
أَحْمِلُهَا كَعَنّالٍ
وَأَمْشِي
فِي طُرُقَاتِ الْعَالَمِ.

الحضن

قال الحفيدُ عن جدِّه:
في أيامها الأخيرة
جَلَسَ الموتُ في حضنها
فحدَّثَ عليه ودلَّلَتْهُ
وحكَّتْ له الحكاية.
وناما في وقتٍ واجدٍ.

الغربة

قالت الغربة:
شقراء، تجلسُ بجوارِ تَعْبِهَا اليوميِّ
وأسمر، يجلسُ بعيدًا
بجوارِ حقيبتِهِ الداكنة.
يتشاغلُ بفتحِ سحَابِهَا وإغلاقِهِ بإهمالٍ.
هبطا مِنَ البابينِ الأماميِّ والخَلْفِيِّ.
توقفًا لحظةً أو كادا،
كأنها أَحَبَّتْ أن تقولَ لَهُ شيئًا
«تُصبحُ على خَيْرٍ» مثلًا
كأنه أَحَبَّ أن يقولَ لها شيئًا
لكنهما سارا في اتجاهين متعاكسين
وترامواي آخر الليل
توقَّفَ للمَبِيتِ في محطَّتِهِ الأخيرة
قفصًا حديدِيًّا لَهُ وَطَأَةٌ وامتداد.
وَظَلَّتْ بِدَاخِلِهِ
تغفو في عتمةِ الضَّوَّاحِي
رغبةً رَجُلٍ وامرأةٍ
مِنَ هَذَا العَالَمِ.

أشياء

قال الزائرُ المندهِشُ:

كُغُوبُ كُنُّبِهِ

مَناديلُهُ

أواني طَعامِهِ

مفارشُ سَفَرَتِهِ

أزرارُ قَمِيصِهِ

لوحةُ بابِ بَيْتِهِ

وامرأَتُهُ

يحملون اسْمَهُ!

النَّمَش

قال النَّمَشُ على تَدْيِ المَرَأة:
وحدِي من يعرفُ
إن كان الذي على أطرافِ
أصابعِ الفَتَى
لَهْفَةٌ حَبِّ مُشْمِسِ أم
لَهْنَةٌ سلوْقِي
يجسُّ غنيمته.

مَلَاعِبُ الْعَجَبِ

قال العاشق:
باطن رُسغِها،
(تمامًا حيث يُقاس النبض)
النصف العلويّ لثدييها،
رَعْبُها الذي يُضيئُ شمندرُ الغروب،
تَوَجَّسُ شحمة أذنها عند اقتراب شفتي،
الانشداد العموديّ
من كعبها العالي حتى باطن رُكبتها،
الاهتزازات الأربع لجذعها السفليّ
وهي تحاول بصعوبة إدخال ساقها
في عناد «الجينز»،
وطريقته الخاصة في رنّ جرس الباب...
كل هذه العجائب،
كأنها لم يرد ذكرها في أشعار الناس

كُرَّةُ السَّلَّةِ

قال لفتاته الجديدة:
كما تَدْخُلُ الكُرَاتُ فِي السَّلَّةِ
تَدْخُلُ النساءُ قَلْبِي
فلا تَسْتَقِرُّ فِيهِ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ،
وكلُّهُنَّ يَرْتَبِطُنَ بِأَرْضِ مَلْعَبِي...
منذ أَحْبَبْتِكِ أَنْتِ.

تلك اللحظة

قالت البنتُ الخجولةُ لصاحبها:
كائنانِ اجتماعيانِ ... هناك بينَهُم
نَعَمْ
أما هنا،
في غابَةِ هذا الليلِ
لنكنْ كما يليقُ بنا أن نكونَ:
وَحْشَيْنِ.

القُبلة

قالت القُبلة:
بي يُحَنِّتُمُ الكلامُ
أو ... يبدأ.

قالت الكاميرا:

الوحيد
سُورٌ مُتَأَكِّلٌ.
وقلعةٌ باذخةٌ.
بداخلها إنسانٌ وحيدٌ.
أشباحٌ غامقةٌ اللون،
تدنو بتدبُّرٍ وبُطءٍ،
مُنْسَتِرَةٌ بعنمةِ الليلِ.
وفي الحجراتِ المائيةِ،
وبين الممراتِ الطويلةِ،
يتجولُ الدُّعْرُ
وترتجفُ الأبراجُ.

قالت الكاميرا:

الغزاة
غزاةٌ تحت صفافةٍ.
صَيَّادٌ خَلَفَ السِّيَّاحَ.
عَمَّا قَلِيلَ،
يَحِينُ وَقْتُ الْإِنْتِبَاهِ
أَوْ
وَقْتُ الْمَرَاثِي.

قالت الكاميرا:

الملاحقة
الكركدنُ يرْكُضُ بشهوتِه
خَلَفَ امرأةً عارية
المرأةُ تحتمي بالشجرة
العصافيرُ على الشجرة
ترفُّ جميعُها فجأةً
وتَحتمي بالسمااء.

قالت الكاميرا:

اللعب
الجدّة تغزلُ كنزَةَ الصّوف.
الحفيدهُ تُنسلُها مِنَ الذّيل.
الاثنان تضحكان.
ولا أحدَ يدري
مَنْ مِنْهُما تُلاعبُ الأخرى

قالت الكاميرا:

الحدود
تحت ضوء الثريا
التي يكادُ ثقلها يقطع السلسلة؛
السيدة التي عاقبتُ خادمتها منذُ قليل،
تجلس في ركن الغرفة،
تغالبُ الضجر.
الخادمة تجلسُ في الركن الآخر
تغالبُ الضجر.
الصمتُ بينهما يمكنُ لمسهُ باليد.
السيدة،
تهمُّ بمنح المغفرة.
الخادمة،
تهمُّ بتكرار الاعتذار.
لكنهما
على طرفي الليل.
الممتدّ بينهما كسلكِ الحدود
تستسلمان، في وقتٍ واحدٍ،
للنوم.

قالت الكاميرا:

العشاء
بنعومةٍ ورفق،
مرَّ بأصابعه على خدِّها،
وقدَّمَ لها القرنفلة.
الشمعةُ تبعثُ ضوءًا طازجًا.
عازف البيانو
يعزف سوناتا لشوبان.
الهواء له راحةٌ يخالطها سُكونٌ.
قبَّلتهُ على وجنته
احتضنتُ يديه بيديها.
أحضرتُ النادلُ العشاء.
رَفَعَتِ الشوكَةَ باتجاهِ شفثيه
قالت بإلحاحٍ وديع:
عليك أن تذوق هذه اللُّقمةَ أوَّلاً

... ..
كانا في الثمانين

قالت الكاميرا:

المسافة

السيدةُ في الخارج
تُقَلِّمُ أشجار الحديقة.
السيدُ في الداخل
يُقَلِّمُ أظْفَرَهُ.

...

السيدةُ في الداخل
تُعِدُّ الطعام.
السيدُ في الحديقة
يتناولُهُ باستمتاع.

...

السيدةُ والسيدُ معًا في الشارع.
يُداهما متشابكتان.
خُطاهما متماثلةة.
وفي عيونهما نَظْرَةٌ مُشْتَرَّةٌ،
وصَمْتٌ.

معرفة

قالت الروح:
مَنْ لَا يَعْرِفُ جَسَدِي
لَا يَعْرِفُنِي.
ليس في الأولمب